

6382
SIP

داستان

حبیبون بیلی

ایستادگار تاریخ امری
اخیر، و نیمه دو قهقهه
لیلی الاسراء

— — —

- همی قصه الحب المریة احالده "تی اصبر لک الحب المندری الطیبه
• "ایستادگار تصویر و ترسیم الی ایام و الاصل را، نام
و القهقهه یا اقلی صدقه من اشد را ایستادگار
محرره و رددهت = عر = عر = عر =

— — —

صحیح و صحیح
ایستادگار

مجنون ليلى

كان في زمن خلافة عبد الملك بن مروان رجل من أهل المناخر وأصحاب المناصب والمآثر يقال له الملوخ بن مزاحم ، وكان من سادات بني عامر وله من الأولاد الذكور ثلاثة أنفار كأنهم البدور وكل بالأدب مذكور ومشهور ، ومنهم قيس وهو صاحب هذا الديوان الذي اشتهر بالعشق وحسن السريرة وكان أصغر إخوته عمراً وأعلاهم همة وأرفعهم قدراً ، وأفصحهم كلاماً وأجودهم نظماً ونراً وأعلمهم بالأدب وأخبار العرب وكان مع هذه الأوصاف جميل المنظر عالى الهمة فصيح الكلام طويل القوام كأنه البدر التمام ، حافظ زمام الاحتشام قد نطق بالشعر وهو ابن سمعة أدواء وكان أعز أخوته عمداً أبيه نظراً لأوصافه وحسن مساعية لأنه قد حاز جميع الصفات البدنية وحببته هى ليلى بنت المهدي تتصل بنسبه فى كعب بن ربيعة وكنيتها أم مالك بدليل قوله :

تكاد بلاد الله يألم مالك بما رحبت يوماً على تضيق

وكانت سمراء اللون قصيرة القامة فصيحة الكلام وعلى خدها الأيمن شامة وكان سبب عشقه لها أنه ركب يوماً على ناقه له وخرج من الحى على سبيل الزهدة والتيسير وعليه حلتان من الديباج والحرير فأقبل على بعض الغدران فوجد عليه جماعة من البنات والنساء فحياهن بالسلام وتكلم معهن بأفصح كلام فأعجبهن غاية الإعجاب واستدعيته للحديث والخطاب وكانت ليلى من جمتهن فنزل وجلس معهن وحمل يحادثهن ويقلب طرفه عليهن حتى وقمت عينه على ليلى فافتتن بها واندهش وخفق فؤاده وارتعش وقال لمن هل عندك من شىء من الطعام ، قالت لا يا ابن السكرام ، فعمد الى الساقة فنحروا وأضرم النار وأخذ يشاغلها بالحديث والأخبار ومناشدة الأشعار وهو شاخص فيها دون باقى النساء ثم قال لها أنا كمين الشواء قالت نعم أبها السيد المحترم ، فطرح الناقة على الجمر فى الحال وقد اعتراه الخبال وتضعفت منه الأحوال من شدة الوجد والبلبال ، فقالت له ليلى انظر

إلى اللحم هل تضج أم لا ، فتقدم إلى الجر وقبضه بكفها يديه وسقط على وجه الأرض مغشياً عليه فأكل الجر لحم راحتيه .
فلما رأتها على تلك الحال مدت إليه ذراعها وشدت يده بهدب قناعها وعلت أنه غرق في بحر هواها وقد اشتهاها وتمناها ، فغير لون وجهها من شدة الحياء وأقام قيس معهن كل ذلك اليوم إلى المساء ثم ذهب وهو على غير الاستواء من تباريح الوجد والهوى ، فلما جن الليل أخذ في الافتكار وصرف ليلة بالبكاء ومناشدة الأشعار فمن ذلك قوله :

نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتى إليك المضاجع
أفضى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى الليل الذى هو جمع
لذا نرى يوم من حياتى ولا أرى خيالك ياليلى فعمرى ضائع
تضيق على الأرض حتى كأنى من الصبر فى سجن فما أنا صانع "

(قال الراوى) فلما كان ثانى الأيام استدعته للمنادمة والكلام وقد داخلها الحب والفراق لأنها كانت مغرمة بأحاديث الناس وأشعارهم وكان هو عارفاً بأيام العرب وأخبارهم فتمكنت بينهما المحبة والمودة حتى لم يستطع فراقها ساعة واحدة هذا ، هو المشهور فى كيفية عشقهما حسب ما ذكرناه ، وزعم البعض أن سبب وقوع الهوى بينهما خلاف ما أوردناه وهو أنهما قد كانا صغيرين برعيان الغنم بدليل قوله :

تعشقت ليلى وهى غر صغيرة ولم يبد للأتراب من ثديها حجم
صغيرين زعى الهمم ياليت إننا إلى اليوم لم تكبر ولم تكبر الهمم
فتحباها ومضى على ذلك برهة وهما بأطيب عيش ونزهة ثم حجبت عنه
كما سيأتى الخبر وجرى عليه ما لم يجر على قلب بشر ، وعلى كلتا الحالتين عرف كل منهما ما عند الآخر ، وكان قيس يذهب فى كل يوم إلى بيتها فيقف عنده حتى يراها ، فيشكو إليها ما عنده من حبا وهواها ، ولم يكن دأبه إلا البكاء

والانتحاب ومناشدة الأشعار في الليل والنهار ، وأقام أياماً لا يلد له حال ولا يسمع له بآل حتى اعتراه السقام من شدة الوجد والغرام .
 (قال الراوى) ولما كان ذات يوم سأطها قيس أمراً من الأمور لينظر هل له في قلبها مثل الذى في قلبه فمدته حاجته وأظهرت الغور وكان قصدها بذلك امتحان الصحة لترى ما عدده من المحبة فقال لها لقد أخلفت ما عهدته فيك ثم اصفر لون وجهه وكاد أن يتفطر مؤشده يقول :

مضى زمن والسر بسنة مودى هل حالى إلى ليلى العداة شفيع
 بضعفنى حسك حتى كأنى من الأهل رالمال التليـ نزع
 إذا ما هانى العاذون بمبها ألت كمدى مما أجن أطيع
 وكيف أطيع عارين رجب يؤقى رالهـ الون محموع
 ولما سمعت شمره كب بؤسدت توب :

كلاد يظهر لباس بعضاً يكن ديد صاحبه مكبر
 وأسرار المدح من تحوى ردت رادى لا يسين
 وكيف يموت دد مسى ردت فى انفس قظهـ العيون
 قط نبتاً برك وتر دى ردت هواله فى تلبى مـ من
 ردت سمع ردت ما حر ردت ردت ردت ردت ردت :

أحلت حـ ردت ردت ردت ردت من وحده على جرد
 حبيب مع الغزلى ردت ردت وأما ليله فأنـ ين
 ردت ردت لا بكر حوجة ردت ردت ردت ردت ردت يكون
 ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت
 ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت
 ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت
 ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت ردت

تشكو ماله عندها من الشوق إلى رؤياه ، وأنها لا تميل إلى أحد سواه . فلما سمع كلامها طاب قلبه وزال غمه وكربه هذا وقد انتهى بالحديث مع بعضهم البعض حتى امتلأ الإناء وصار السمن يقطر على الأرض ، وما زالوا يتحدثان نحو ساعة من الزمان إلى أن غرقت أرجلهما بالسمن ولا يعلمان ، وكان أبوها قد استبطأها فصاح عليها ونادها فلم تفتبه إليه ولا ردت عليه ، فخرج ليكشف الخبر وقد أنكر أمرها فوجدهما على تلك الحالة المتقدم ذكرها ، فاستعظم ذلك الأمر ثم منعها الزيارة في الليل والنهار وحجبها عنه خوفاً من المضحية والدار ، فكان يغتم غملة الرقيب ويجتمع بها فيطفي ما بقلبه من نار اللهب . فلما باغى ذلك شكاه إلى الخليفة عبد الملك بن مروان وأعلمه بذلك الشأن . فكتب إلى عامله الذي كان ولياً على القوم يأمره بقتله إدا هو ذرّها بعد ذلك اليوم ، فلما قرأوا عليه الكتاب ووقف على حقيقة الخطاب نهده وتحسر وأشد وقال :

لئن حجبت ليلي وآلى أميرها على يميناً جاهداً لا أزورها
على غير شيء غير أنى أحبها وأر فؤادى عند أبي سميرها

ولما نُس من زيارتها أحذه اقلق والوسواس حتى أشرف على زوال عتمه وصار مثلاً بين الناس ، فأقبل عليه أبوه وبوعمه وإخوته ومن يلوذ به من أهله وخلانهم وقالوا له يا قيس اتق الله وأعرض عن هذه الجارية واسلها واعلم أنك إن دمت على هذه الحال أتلفت مهجتك وهواها ونساء العرب كثيرات وفيهن من تضاهى البدور الراهرات فأحب من هي أحسن منها وإليك في غنى عنها فقد هكتك حالك بين الأهل والخلان وصرت مثلاً بين القبائل والعربان . فلما ألحوا عليه بالكلام قال دعوني يا قوم من اعتب رايلاً لا أختار امرأة عليها ولا أميل إلا إليها ثم أشد :

أن وقع مغشياً عليه ، فقدمت ورشت له الماء وقبلته بين عينيه ، فلما أفاق
أشمد وقال .

لَا أَهِيَ الْقَلْبُ اللَّحُوجُ الْمَعْدِلُ أَفَقَ عَنِ طَلَابِ الْعَبْدِ أَنْ كُنْتَ تَعْمَلُ
مَنْ قَدْ أَفَاقَ الْعَاشِقُونَ وَإِنَّمَا تَمَادِيكَ فِي لَيْسِي ظِلَامٍ مُضِلِّ
نَعَزَ نَصْبٍ وَاسْتَعَنَ بِخِلَالِهِ فَصَبْرِكَ فِيهَا لَا يَدَانِيكَ أَجَلُ
لَا كُلَّ دِيٍّ وَدَعَيْتَ مَكَاهِ وَأَنْتَ لَيْسِي مُسْتَهَامٌ مَوْكَلُ
أَقْدَمَ فَوَادِي مَا اجْتَرَرْتَ مَلَامَةً إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَنْتَ بِاللَّوْمِ تَعَجَّلُ
أَنْتَ نَفْسِي بِالْحَدِيثِ وَبِالْمَنَى لَعَلَّ إِلَى أَمَامٍ لَيْسِي تَعْدِلُ
حَيَّ اللَّهُ مَنْ بَارَعَ الْحَسَلَ وَحِيرَهُ فَقُلْتَ أَحَلَّ حَاشَاكَ إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ
يَهْدَتْ بِهِ بَالَهُ يَالَيْسِي إِنْ نِي تَبْرُؤُوفِي بِالْعُيُودِ وَأَوْصَلُ
مَنْ أَمْرٍ أَدْبَتَ دَمْعاً عَلَيْهِ وَلَا ذَنْبُ لِي لَيْسِي فَصَفْحُكَ أَجَلُ
بِأَنْ سَأَلْتُ هَاتِي زَارِ مَنِي خَصْمِي هَاتِي وَمَنْ سَأَلْتُ قَتَلَا إِنْ حَكَكَتْ أَعْدَلُ
مَنْ مَسَرَّ طَالِ حَتَّى هَلَلْتَهُ وَيَسِي إِذَا مَا جِي إِلَيْسِي أَصُولُ
رَبِّكَ لَمْ يَحْ رَحِمَكَ دُعَا وَغِيَاةُ مَرْ رَحِمَكَ غِيَاةُ تَمْرُ
إِلَّا مَسَرَّ لِي لِي وَابْصُرِي إِلَى لَكَ - ١٤٨ - حَسْبِي تَمْرُ

رحم من شعره أغرورقت عيونه بالدموع ، ثم أتت يده أن يحنق أملا
أه حرك قلب راجع وهو يبكى ويتهدد ، أعظم غميه الحال سدوده .
نَا الرَامِقُ الْمَشْعُوبُ وَاللَّهُ نَاصِرِي وَصَتَقِي مَنْ يَحُورُ وَجْهِي
نَا رَأَى الْفُرْيَا وَالْخَلِيلُونَ وَمِ تَرَانِي الْفُرْيَا وَالْخَلِيلُونَ وَمِ
طَلَّ مَرْ رَأَى مَائِهِمْ وَتَحْسِرُ وَأَنْزَلْتُ كَأَسَا شَيْءَ مِ رَعْمِ
نَا دَائِلُ فَوَادِي مَسَرَّ بَرُوحي تَقْضِي مَا تَحِبُّ رَتَحَكِ
يَرْ شَاءَ أَنْ تَكُونَ بِرَدَّةِ كَلَامًا بِبَاقٍ وَلَا تَكَلَامِ
الْمَلِكُ فَمَا تَ يَدِينِي بَرَقَ وَيَرْحَمِ

صريع من الحب المبرح والهوى وأى قى من علة الحب يسلم
 بكى لى با ليلى الفؤاد وإنه ليكنى ما يلقى الفؤاد ويكتم
 لعمرك ما لاقى جميل بن معمر كوجدى بليلى لا ولم يلق مسلم
 ولم يلق قابوس وقيس وعروة ولم يلقه قبلى فصيح وأعجم
 صبا يوسف واستشعر الحب قلبه ولا كاد داود من الحب يسلم
 وبشر وهند ثم سعد وواق وتوبة أضناها الهوى المتقسم
 وهاروت لاقى من جوى الحب علة وماروت فاجأه البلاء المصمم
 ولم يخل منه المصطفى سيد الورى أبو القاسم الزاكي الذي المظهر
 أبيت صريع الحب دام من الهوى ودعى على جسمى يموج ويسجم
 ولولا طروق الليل أودت بنفسه منعمة للحظين تبرى وتسقم
 بذاهى رادت فى النوى رادى الهوى سلا قلبه يسلم ولا هى ترحم
 أعارت أنفاس الصب بك صهوة لها بين جنبه سفير مضرم
 ألا أن دمع الصب عما يحنه ولم لم يفه يوماً به متكلم
 ساقى عيى الهوى وهو الحق ودعى فصيح فى الهوى وهو أعجم
 وكيف يضيق الصب كتمان سره وهل يكتم الوجد مرؤره ومزعم
 (قال ابن ارنى) وأقام فيس بعد ذلك أياماً وهو يكابد ألم الفراق وفى ذات
 يوم ركب ناقته وصار ضالماً زبارة أبلى من ذلك المكان ، فوجد الحى خائياً
 من أسكن له يسبح فيه صوت إنسان سوى صياح البوم ونقيق الغربان
 فجلس بهضم إلى مرأته لا يرى من فى ثيابها فى تقاطعات الزمان ، فعند ذلك زادت
 "أرى لى لى رى دارين قفراً فكى بكاء مرأ وأنشده :
 لا تلبس لى أن رحلتو ودرهوا ببلى والى كواكب ضلوع
 خيل لى سمعها أوبرت فعرصتها فى سائر الدمار نفع
 ربح شاربها ما برت جنبه بطير بكمها رعير يسجم
 أمراض لى حبا رحلها فيما للعدا من صهوة كيف أصجم

أتبع ليلي حيث راحت وخيمت وما الناس إلا آلف ومودع
فإن يك جثمان بأرض بعيدة فإن فؤادي عندك الدهر أجمع
ألا تتقين الله في قتل عاشق له كبد حري عليك تقطع
غريب مشوق مولع بدياركم وكل غريب الدار بالشوق مولع
فأصبحت بما أوقع الدهر موحماً وكنت لريب الدهر لا أتصدع
قنعت بلحظ منك ليلي وإني ينال المنى من كان باللحظ يقنع
أبيت بروح الطريق كأنني أخو خبيل أوصاله تتقطع

(قال الراوي) وبينما هو على تلك الحال وإذا براع يرعى غنمه في ذلك
أخى فقصدته حتى وصل إليه وسلم عليه وسأله عن أخبار القوم فقال له:
رحلوا إلى جبل توباد في صباح ذلك اليوم، فسار وهو ومنزعي الفؤاد حتى
أقبل على جبل توباد وكان ذلك الوقت في آخر النهار فوجده خالياً من
الرجال ليس فيه إلا النساء والبنات الأبنكار، وبلغ ليلي قدومه من بعض
الجواري فداخها الفرح والاسدش فخرجت إلى مسقاء ردى لانت بق
أن تراه، فلما وصلت إليه سلمت عليه فابتهج وانشرح وكاد يصير من الفرح
وأخذ كل منهما يشكو ما هو فيه من ألم الفراق واخوى وتمايح الوجوه
والجوى، ثم قالت له في آخر كلام كيف كان صبرك عني يا قيس في هذه
الأيام، فقال لها والله بأمية القلب والروح أنتى بن جنين ليس لك
صبر ولا سوان وقد أقلقني الوجد والهميان من كثرة الأفكار وسهر الليل
والهار حتى لم يبق لي هدوء ولا اضطمار ولا أقت في مكان وفري قرار
وما تركت زيارتك إلا خوفاً عليك من الأعداء اللثام الذين أبس همهم
ولا ذمام، فإن زيارتك تنجلي همومي وتنقض غمومي. وشرح صدرى
رتصفو امرأة فكري تم بكى وأنشد يقول:

أبا نس رند المين يقنح في صدرى ونار لاسى ترمى فؤادى بالخير
والله ما أنساك هه هبت الصبا وما ناحت الأعيار في وضوح الفجر

وما نطق بالليل سارية القطا وما صدحت في الصبح غادية الكدر
وما لاح نجم في السماء وما بكت مطوقة شجراً على قن السدر
وما طلعت شمس لدى كل شارق وما هطلت عين على واضح النحر
فأقسم لا أنساك ما ذر كوكب وما خب آل في معبسة قفر
فلما سمعت منه هذه الآيات بكت وضمتها إلى صدرها وأنشدت :

ولقد أردت الصبر عنك فعاقتي حلول بقلبي من هواك قديم
وينني جفاك النوم من كل لذة ويقلقني ذكراك وهو عظيم
ثم وودعها وسار خوفاً من قدوم الرجال وفي رجوعه إلى أهله أنشد وقال :
حلا ذكر الأجابة في فؤادي فهمت من الغرام بكل واد
وقد باحت بأسراري دموعي وجفني قد جفا طيب الرقاد
وكم ناديت بين خيام ليلى وكم في حبا مثلي ينسادي
أنا المضي فجودي لي بوصل فقد زاد السقام إلى السهاد
وكم أجريت يوم البين دمعاً على الحدين كالسحب الفوادي
فما أحلى التهنك في حماها حماها الله من كيد الأعادي
عسى بالوصل أحظى قبل موتى وأفرح باللقا بعد المعادي
(وقال أيضاً)

إذا نظرت نحوى تكلم طرفها فجأوبها طرفي ونحن سكتوت
ولو خلط السم المذاب بريقها وأسقيت منه نهلة لبريت
(وقال أيضاً)

ولو شهدتني حين تأتي منيتي جلا سكرات الموت عى كلامها
فيا ليتنا نجبا جميعاً وإن نمت تجاوز في الهلكى عظامها
(قال الراوى) وجد قيس في قطع الطريق وهو مسرور بذلك اتوفى
حتى أقبل إلى الديار والشوق في قلبه كلهيب النار، فلما دخل إلى الحزام قدمت
له أمه شبنماً من الطعام فأبى ولم يأكل ولا عرفت عينه المنهم إلى نضى ليله

في البكاء والنواح إلى أن بدت غره الصباح ، فلما رآه أبوه على تلك الحال وقد
 تغير جسمه واعتراه المزال رثى لحاله وخاف من انزعاج باله وقال يا ولدي
 ويا مهجة كبدي ارجع عن هذا الأمر واقبل النصيحة فقد هتكت نفسك
 وصرت مثلاً بين الوري وأحدونه لكل من يسمع ويرى ، فكم قد نصحتك
 وأنت لم تسمع وأردك فلم ترجع وكل ذلك من أجل جارية من بنات العرب
 وهي دونك في الحسب والنسب ، وأنا أشير عليك الآن ألا تذكرها بشقة
 ولا بلسان فإن حديثك قد شاع بين جميع العربان واشتهر في كل مكان ،
 فاذكر الله وتب إليه بما أنت عليه . فلما سمع من أبيه ذلك الخطاب تغلب
 عليه الحزن والاكتئاب وقال له كلما حدثتني بهذا الكلام ازداد بي العشق
 والغرام ثم هاجت به الأشواق وغلبت عليه غصه الفراق ، فبكى وانتحب
 وفاض دمه وانسكب ، واشتد مل قلبه والتهب وأنشد يقول :

وكم قائل لي اسل عنها بغيرها	وذلك من قول الوشاة عجيب
فقلت وعيني تستهل دموعها	وقلبي بأكاف الحبيب يذوب
لئن كان لي قلب يذوب بذكرها	وقلب بأخرى إنها لقلوب
فياليل جودي بالوصال فإني	بحبك رهن والفؤاد كئيب
فلا تتركي نفسي شعاعاً فإنها	من الوجد قد جادت عليك تذوب
وألقي من الوجد المبرح سورة	لها بين جلدي والعظام ديب
وأنى لاستحييك حتى كأنما	على بظهر الغيب منك رقيب

(قال الراوى) فبكى أهله رحمة له وطلبوا من الله أن يعافيه بما ابتلاه ،
 فلما سمع كلامهم تنفس الصعداء وتنهد وأشار إليهم وأنشد :

لقد لامتني في حب ليلى أقاربي	أبي وابن عمي وابن خالي وخاليا
يقولون ليلى أهل بيت عداوة	بنفسى ليلى من عدو وماليا
أرى أهل ليلى لا يريدون بيعها	بشيء ولا أهلى يريدونها ليلا

فليت نسيم الريح أدى تحيتي
 فيا عجباً ممن يلوم على الهوى
 وهيمات أسلو من الوجد والهوى
 معذبتى لولاك ما كنت هاتماً
 أبيت ضجيع الهم ما طعم الكرى
 يساحرة العينين كالشمس وجهها
 خليلي - - - - - الى فراشي وارفعنا
 وإن مت من داء الصباة بلغنا
 إليها وما قد حل بي ودهانها
 فتى دنفاً أمسى من الصبر عاريا
 وهذا قبصى من الحزن باليا
 أبيت سخين العين حيران باكياً
 أنادى إلهى قد لقيت الدواهي
 بضئ سناه فى الدجى متسامياً
 وسادى لعل النوم يذهب ما ييا
 نتيجة صوه الشمس منى سلاميا

(وقال أيضاً)

ما بال قلبك يا مجنون قد هاهنا
 يقول صبي ودمع العين منحدر
 طالما أبكى ولم أسمع بمنزلة
 سقات كفوا بين القلب ريمكم
 طوي لمن أنت يالى قرينته
 لما ترات كتاباً منك يبلغنى
 دعوا إلى هجرها قلبي فيتبعنى
 لا يستطيع نزوعاً عن مودتها
 كم من وى لها قد كنت أتبعه
 تزيد كلفا فى الحب إن منعت
 وهاتف من فنان الأيك أزجنى
 كأن عينيه من حسن احمرارهما
 يدعو حمامته طير وقد هجمت
 كأنه راهب فى رأس صومعة
 فى عشق من لا نرى فى رسلها طمعا
 سبلا على الخند هطالا ومنذوعا
 هذا البكاء لصب مرجع فجعا
 تركان صخرة صماء لا فصدعا
 لقد فى الله عنه الهم والوجعا
 إلا ترقرق دمع العين واندفعا
 حتى إذا قلت هذا صادق نزعا
 أو يصنع الوجد فيها غير ما صنعنا
 ولو صحا القلب عما كان لى تبعنا
 أحب شيء إلى الإنسان ما منعنا
 بصوته فى ظلام الليل حين دعا
 فسان من حجر الياقوت ندق طعنا
 والله ما هجمت عين وما هجمنا
 يتلو الزبور ونجم الصبح قد طلعا

أوقس دیر تلا مزماره سحرآ
فالريح تخفضه حيناً وترفعه
فقلت يا طير ما هذا البكاء وقد
إن طرت طار معى كى لا يفارقنى
وقد دعانى به ريب المنون ولم
وكل إلف يبكى إلف صاحبه
وكنت أبكى ونار الرجد تملقنى
فالحمد لله أبكاني وأضحكنى
أحفظ صديقتك لا تقطع مودته
إن المنازل تبني بعد ما خربت
أزرع جميلاً ولو في غير موضعه

ما زال مذكان طفلاً يسكن البيعا
قد كان يخفضها طويلاً ويرفعها
قل العزاء وأبدى القلب ما جزعا
وإن أراد وقوعاً قلبه وقعا
ترجع إلى وكل الطير قد رجعا
عند الفراق بوجد قط ما فجعا
حتى رأيت عمود الصبح قد سطعا
والحمد لله شكرأ للذى صنعنا
لا بارك الله فيمن خان أو قطعنا
وأيس يوصل رأس بعد ما قطعنا
فلا يضع جميل أينما زرعا

(وتال أيضاً)

ولو أن ما بنى باخصى فوق لحصى
ولو أن ما بنى بالجلاء لم تمت
تذكرنى ليلى على بعد دارها
فويل على العذراء ما تركوتى
فإن عشت لا أبغى سواك وإن أمت
ولو أنى أسغمر الله كلما
فدوى على عهدى دلت بزائل

وبالريح لم يسمع من هبوب
وكاد جلا ميد الصحور تنوب
رايلى فتول للرجاء خلوب
بغوى أما فى العاذلين لبيب
فما موت متلى فى هواك عجيب
ذكرتك لم تكتب على ذنوب
عن العهد مكم ما أقام عسيب

(قال الراوى) وما زال قيس على مثل هذا الشأن مدة من الزمان ، وهو بكابد الوجد والهميان ، وقد تملبت عليه الهموم والأحزان وكان كثيراً ما يجول فى العلووات يندب نذب الناكلات ، ويمر بين أشجار الغضا ، يرمق فى العلا والفضا ، حتى صار فى حالة الذل والويل من كثرة البكاء

وسهر الليل واتفق أنه مر يوماً في بعض الكتيبان فرأى أن رجلاً نصب
شركاً لصيد الغزلان، فدنا منه وحياه بالسلام وقال له عندك شيء من الطعام
فقال لا أتى بقيد الديار مسافة نصف نهار، وقد نصبت أشراكى في هذه الرية
فاصبر قليلاً واطرد على الظباء، فإن اصطدنا بلغنا المراد وسددنا رمق القواد،
لأتى من نحو يومين ما استطعتم بزاد، فبينما هو عنده إذ وقعت بالشرك
ظبية فوثب قيس إليها وقبلها بين عينيها ثم أطلقها وأشار يقول :

أيا شبه ليلي لا تراعى فإننى	لك اليوم من دون الوحوش صديق
ويأشبه ليلي لو توقفت ساعة	عليها سحب هائل وبروق
ويأشبه ليلي لو توقفت ساعة	لعل فؤادى من جواه يفيق
أقول وقد أطلقها من وثاقها	فأنت لليلي إن شكرت طليق
فميناك عيناها وجيدك جيدها	سوى أن عظم الساق منك دقيق
تكاد بلاد الله يا أم مالك	بما رحبت يوماً على تضيق
تتوق إليها النفس ثم أردوها	حياء ومثلى بالحياة خليق
ولو تعلمين الغيب أيقنت أتى	حبيب وانى للحبيب مشوق
أروم سلو النفس عنك وما لها	إلى أحد إلا إليك طريق

فاستشاط الصياد غضباً وتغيرت منه الأحوال واعتراه الانزهاال، وقال
يا هذا ما هذه الفعال التي لم يسبق إليها أحد من الجهال، فقد من الله علينا بما
كنا نتمناه، فأحرمتنا إياه، فقال له قيس وقد اشتد به جواه وعظم مصابه
وبلاه، لا تدنى فإن عينيها تشبه عيني من أهواه، ثم تركه وسار يحول
في تلك القفار، وإذا به يرى ظبية أخرى فأسرع نحوها وقبض عليها ومسح
التراب عن وجهها وقرنها وبعد ذلك أطلقها وأشار يقول :

أذهى في حراسة الرحمن أنت منى في ذمة وأمان
لا تخافى ولا تخافى بسوء ما تمنى الحمام في الأغصان

(وقال أيضاً)

أقول لطبي مربي وهو رافع أنت أخو ليلى فقال يقال
أياشبه ليلى إن ليلى مريضة وأنت صحيح إن ذا الحال
(قال الراوي) وكانت ليلى قد مرضت مرضاً شديداً، فلما بلغه الخبر
خفق فؤاده وتكدر، وأخذ القاق والضجر، وأنشد يقول :
يقولون ليلى بالعراق مريضة فإلك لانيضي وأنت صديق



(قيس، وليلى يتناجيان) بريشة أمير عباس

مرضى الله مرضى بالعراق فإني على كل مرضى بالعراق شفيق
فإن تلك ليلى بالعراق مريضة فإني في بحر العرام غريق
أهم بأقطار البلاد وعرضها ومالي إلى ليلى الخدة طريق
كأن فؤادي فيه نار تنادحت وفيه لهيب ماطع وبروق

إذا ذكرتها النفس ماتت صباية لها زفرة قتالة وشهيق
سبنتى شمس تنجل الشمس نورها ويكسف ضوء البدر وهو شروق
غراية الفرعين بدرية النسا ومنظرها بادي الجبال أنيق
وقد صرت مجنونا من الحب هائما كأنى عان فى القيود وثيق
برى حبها جسمى وقلبى ومهجنى فلم يبق إلا أعظم وعروف
فلا تدلوا بل إن هاءت ترحوا على فنفد النفس ليس يعوق
وخصوا على قبرى إذ مات أسطرا قتيل لحاظ مات وهو عشيق
إلى الله أشكو ما ألاق من الهوى بايلى فى قلبى جوى وحرىق

(وقال أيضاً)

ألا إن ليلى بالعراق مريضة وأنت خلى البال تهنو وترقد
هو كيت يا مجنون تضنى من الهوى لبت كما بات السليم المسهد
(قال الراوى) ومر رجس ذات يوم بليلى وهى واقفة على باب حباها رهى
تد تعافت من عياها ، فهالت له يا هذا إلى أين أنت سائر ؟ فقال لها إلى ديار
بى عمار ، فماتت وركت وأنت رائتكت وأنشدت تقول :

يا أيها الراكب المزجى مطيحه عرج لأنبيء عنى بعض ما أجد
فأرى ناس من وجد تضمينهم إلا ووجدى بقيس فوقه وجدو
هوى رساء رانى فى مودتها ورده إلى آخر الأيام احتهد

(قال الراوى) فاستفق لرجل عليها وتقدم إليها وقال لها حيالك الله يا حرة
"عرب هل لك من صبية ست إن كنت من أهل المروءة وكرم الأخلاق والفتوة
وعسى منى هذا المروء زاجر كسر فى الملهوف وهو أنك حتى وصلت إلى
بى عمار ، فماتت وركت وأنت رائتكت وأنشدت تقول :
يا أيها الراكب المزجى مطيحه عرج لأنبيء عنى بعض ما أجد
فأرى ناس من وجد تضمينهم إلا ووجدى بقيس فوقه وجدو
هوى رساء رانى فى مودتها ورده إلى آخر الأيام احتهد

وهي لا تلتذ بطعام ولا تذوق أجفانها المنام وقد سارت ميلا بين النساء في سائر
الأنحاء ثم كتبت له رقعة ضمنتها هذه الأبيات :

وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأثمت بي من كان فيك بلوم
وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
ولو أن قولاً يكلم الجسم قد بدا . بحسبي من قول الوشاة كلوم
دسار الرجل طالباً حتى نبي عامر حتى وصل إليه واستدل على قيس فدلوه عليه
فجاءه بالسلام وحدته بما قائلته ليلى على المنام . علما سمع قيس شعر ليلى أن أنين
المسكلى ثم تنهد من فؤاده متبول وكتب إليها مع ذلك الرجل يقول :

وأنت التي كلفتني دليج السرى وأحدثت جرح القلب وهو كليم
وأنت التي قطعت قلبي صباة ورقرقت دمع العين وهو سحرم
وأنت التي أغضبت قومي فكاههم بعيد الرضى داني القطوف كظايم
ثم خرج تجول في نواحي ذلك الوطن إذ مر به سرب من القطا فسا رآ .
أنشد يقول :

شكوت إلى سرب القطا إذ مررتني	فقلت ومثلي المكاك جديد
أسرب القطا هل من معير جناحه	لعلني إلى من قد هويت أطير
وأى قطاة لم يعرف جناحها	فعاثت نصر والجناح كسير
وإلا فمن هذا يؤدى رسالتى	فأشكره إن المحب شكور
إلى الله أشكو صبوتي بعد كربتي	ونيران شوقي ما بهن فتور
فإن لم أمت هما وغماً وكربة	يعاودنى بعد الزفير زفير
إذا جلسوا في مجلسي هدروا دمي	فكيف تراها عند ذاك تبير
ودين دمي هز الرماح كأنها	توقد جمر ثاقب وسعير
أرى النوم يأتي دون ليلى كأنما	أنى دون ليلى حجة وشهير
ففسكى أسيراً مستهماً وإنه	إلى ذاك منكهم وارحمه فقير

طوت أم عمرو بعد نأى ركبها
رجال جبال البعد بيني وبينها
قطعن الحصى والرمل حتى تفلقت
سلوا أم عمرو هل ينول عاشق
ألا قل لليلي هل تراها مجبرتي
أظلم بحزن أن تغنت حمامة
بكت حين در الشوق لي وترنمت
أين ذهب عقلي بعد حلمي وقد علا
ومستجلى بعد التحلم نسوة
تعودن قنسل المسلمين كأننا
(قال الراوى) ثم مضى على وجهه وأوسع في القنار فبينما هو يدور إذ
طار بجوارب بعضها بعضاً على غصون الأشجار فرأى ما أذهل بقلوب
فأنى إلى أصواتك حنون
رأيت بأسرار لمن أدين
شرب مداماً أو من حزن
سكين فيه تدمع له عين
مثل نوح الثغلات أين
روا جف قلب بات وهو حزين
أطير ودهرى عندهم أنور

(وقال أيضاً)

أجسك يا حمات نؤوق
أندرك يا حمات طريقت
ورن في شحكة أقبل حبيب

وإني قد براني الحب حتى
أراك الله في محلك السلاحي
ولست وإن حننت أشد وجداً
وني مثل الذي بك غير أني
أما والله غير قلبي وبغض
لقد جعلت دواوين الغرائي .
فقدما كنت أرجى الناس عندي
إلا لا تنسين روعات قلبي
فبينما هو على مثل ذلك هبت ريح من نحو أرض نجد فراج به الغراد
الوجود دأ شد وقال :

ألا يا صبا نجد متى هبت من نجد
رعى الله من نجد أناساً أحبهم
سقى الله نجحاً أو لم يقيم بأرضها
إذا هتفت ورقاه في رونت أضحى
بكيته كما يبكي الوليد ولم أزل
وأصبحت قد قضيت كل نباله
وإن قربت دار بكيته وإن نأت
ألا حبذا نجد رطيب ترابه
إذا وعدت زاد أهوى لا تظارها
وقد زعموا أن المحب إذا دنا
بكل تدأويناه لم يشفه ما بنا
على أن قرب الدار ليس بنافع
م سر به غراب يخفق فتأده رزق تب
ألا يا غراب أمين هيبت أوعتي
وقد زادتني سراك وجداً على وجد
لو أنقضوا عهدى حفظت لهم ودي
سحاب غواد خبايا من الرعد
على فمن عض النبات من الرند
جليد أراشيت الذي ما أكن أبدى
شامية راسماني قلبي إلى نجد
كأنتم فلا تقرب أسلو ولا أبعد
وأرواحه إن كان نجد على العبد
وإن بخلت لو عدت على الوعد
مل وإن المأى يشفي من الوجد
على أن قرب الدار حير من البعد
إذا كان من ترواه ليس بى ود
وعظمه عليه السلام وشد وقول
فويح لك خبرني به أنت تهرح

أبالبين من ليلي فإن كنت صادقاً
ولا زال رام فيك فوق سهامه
ولا زالت من عذاب المياه مفرأ
فان طرت أردتك الختوف وإن تقع
وعابنت قبل الموت لحكم مشدخاً
ولا زلت في شر "عذاب مخلد"اً
ولا زال عظم من جناحك يفسخ
ولا أنت في عيش ولا أنت تفرخ
ووكرك مهتماً ويضك يرضخ
تقيض ثعبان بوجهك ينفخ
على جمر الحار يشوى ويطنخ
وريشك منتوف وجلدك يسلمخ

(قال الراوى) ولما جن عليه الظلام ارتد راجعاً إلى الخيام وبات في غلق شديد وغم ما عليه من مزيد . ولما كان الصباح رجع إلى ما كان عليه من "مكان" ، الواح وقال وما زال على تلك الحال حتى ضعف جسمه واعتل ، وكاد عقله من شدة الوسواس أن يختل ويبيع ليلي الخبر وأخذها القلق وضجر ، واضطرب ووحداً وتغير . وفاض دمعها على حديدها وتندحر ، رويحت على الجدران واسهر وجرى عليها ما لم يجر عن تاب وشر فكنت إليه مع من تعتمد عليه أيها الخفيف والسيد الأديب مهجة الفؤاد وزينة العجز ، تارة سائر في عالم السكك وحسن الخصال وحفظ العهود والذمام والمحبة الصالحة الخاتمة من الآتام ، لقد بلغني ما أنت فيه من الشوق والعرام والوجد والهيام ومكابدة "سهر" وعجزان الطعام واحتمال كلام اللوم حتى اعتراك الهزال وصرت ناحلاً كالخيال وحيث الحالة هذه نأحصر نصف الليل إلى وادي "المرات" وأنا أو أريك إلى هناك ولو خاطرت بنفسى في هواك فلا يساوى لذة رؤياك وختمت كلامها بهذين البيتين :

يا مسميتي أنت مقصودى ومطلوبى وأنت رغماً عن الأعداء محبوبى
إن تحتجب عن عيون الصب يا أملى ما أنت عن قلبى المضى بمحجوب

(قال الراوى) ولما بلغ قيساً هذه الرسالة ووقف على خوى تلك المقالة اشرح صدره واستراح وحفت عنه بعض الأتراح وأنشد وقال :

تعود مريضاً أسقمته بهجرها ولو طودته عاد لا يعرف السقمها

أضربت بالقلب ناراً من الجوى فما تركت عظماً ولا تركت لحماً
وإني على هجرته -ا- وصددتها وما حل بي منها أرى حبها حتماً
خلبلي ككها لا تلوما متيماً ولا تقتلا صبا بلومكما ظلماً

(قال الراوى) تم انه قصد ذلك المكان وفى قلبه لهيب النيران إلى أن وصل إلى تلك الأرض عند إفصال الظلام ، فجلس وهو يتأدس فى الربى والآكام إلى أن انتصف ظلام الليل وسلا نجم سهيل ، فعند ذلك زاد به القلق والسوت والأرق ، فارتعس فؤاده وحقق ووقع على وجه الأرض وشهق ، وإذا بلبلى قد أقبلت نبتة سمت إليه وسلمت عليه وقبلته فى عارضيه وبين عينيه ، ليلاً رتيماً وريحاً ، مبسوراً لئلا يمتنعهم واضجر فنهض فى الحال وجلس وردت روحه إليه بعد أن كان على آخر نفس لأن العاشق لا يبرأ إلا بنظر الحبيب ، إذ رآه ذهب مابقيه من اللهب . ثم قالت له لقد بلغنى ما أنت به من الهم والحزن حتى ضعفت جسمك ونهيت أرن وجهك بعد ذلك الحسن وذلك كـ ، لأحلى ملاكك أما رايك أنى . قال لها وحق من يقول للمتيأس كى سيكون ننى منذ فارتك لأن لم تغمض لى جفون ، بل كنت أهيى مع الوحوش فى البرارى وتعارف شد الأنس وأنتفى الآثار وألقى نفسى فى المهالك والأخطار وأصل الليل بالهـ ، ولا يطيب لى عيش ولا يقر لى قرار . حتى نصرت الأسفل مى واقبلت القلوب عنى وكنت كلما ذكرت ك خفق فؤادى وغاب رشادى وتلبلل خاطرى واشتعلت سرارى إلى أن اضحل جسمى من الهزال وداب من شدة الوجد والبـال لأن ملك الهوى عنيد وقيد أشد من لـال الحديد والآن قد انحلت عى قلبى الكروب وانسرح صدرى برؤيتك بعد أن كان متعوب ، ثم غلب عليه جواه وتذكر ما فاساه فتأوه وتهد وأشار إليها وأشد :

والله لا أدري علام هجرتنى وأى أمور بك يا ليل أركب

أقطع حبل الوصل فالموت دونه وأشرب كأساً عليهما ليس يشرب
فلو كان لي قلبان عشت بواحد وأبقيت قلماً في هواك يعذب
رمتني يد الأيام عن قوس محبة لا العيش يصفه لي ولا الموت بقرب
كعصفورة في كف طفل بهيها نقاسي عذاب الموت والطفل يلعب
ولا الطفل ذو عقل يرق لحالها ولا الطير مألوق الجناح فيذهب
(قال الراوي) ههنا انتهى قبس من آياته تساقط دمعته على وحشاته
فقلت له جزاك الله خيراً ولا أراك سوءاً ولا ضيراً ، ثم فاضت عيناه
بالدموع وتمست من فؤاد موجوع و أنشأت :

فلو أن ما ألقى وما بي من الهوى بأرعن ركناء صفا وحسب
تقطع من وحد وذاب حبيده وأمسى تراه الأمين وهو عميد
ثلاثون يوه كل يوه ربيعة موت وأحيا إن ذا لشديد
(قال الراوي) ثم أتت حديثه بحالها وما أصابها من أجله ركيب خجول
ممسها محبة به وأنها تحبه وأشتبه ، قال ومارال قيس يحادث ليبي ، يندم
بالضرى أن مضى وقت سحر رلاح ضوء النهار وطهر بعد ذلك ودعت
ورجعت على الأثر حرداً من أن يراها أحد من البشر ، ورجع هو يطلب
طلابه والديار وفي قلبه من أجلها لوعة من نار وهر يشد ويقول :

لقد أرسلت لي إلى رسومي أن آتيا سراً إذا الليل أظلم
خئت على خوف وكنت معوذ أحاذر أيقاظاً عداة ويوم
فمت وبنات له بهجة ربية ولم تتبع يا صاح والله بحر
وكيف عزى قيس قيس خلد وقد أورت في نقاب دمامك
هو أم - سعد الحية - وهو كلمت ميتة إذا انتكلم
ويوم سحت ، ذهب أسعى لا دست صمد وشيكاً ثم عاد بلا عي
ههمة تسج حبيب برحمة تزين مبر ، عفة وتكرما

هتلك التي لم كان داء دواؤه وهاروت كل السحر منها تعلمها

(وقال أيضاً)

سأ بكى على ما فات من صباية وأندب أيام السرور الذواهب
رائع عيني أن تاد بغيركم وإني وإن جابت غير بجانب
وخير زمان كنت أرجو ديوه رمتنا عيون الناس من كل جانب
أصبحت مرحوها وكنت محبداً فصبراً على مكروهما والعواقب

(وقال أيضاً)

رمسى من لا زلي أن أهاجره ومن أمانى اليسور وأمسرذا كره
شأنا أحببت من لا يحسى وبغضت من قد كنت حيناً أعاشره
أنا يشداه نفساً تسعد النوى ونجوى فؤادى لا نباح سرائره
أحكك يا ألي على غير دبة وما خير حب لا أتعف ضمائره
وقد كان قلبى في حجاب بكه فبك من دون الحجاب بياثمه
وصد سياتى حج بنى هوى رفعت من فؤادى عدو أحادره

(وقال أيضاً)

بصاه أكرها أعيى كآها قمر نورسط حفيح ليس أسود
در سومة باحسن ذات حواسد إن الحسنة مظنة بالחסد
زترى ساهها ترنق مقلة سوداء ترعب عن سواد الإثم
عود إذ كثر الكلام قدوذت بحمى الحياء وإن تكلم تقصد

(وقال أيضاً)

سأ إلى ما يحب داني لأيسر طوال الليالي من قهول إلى مجد
أنا لا أبى رايح واعترف سحر إلى يوم القيامة والوعد
وما زلت سبباً لميلى حبر وشوفه إز يسمر حتى علاه ألباس واس وترك محادثة
أنا رخرم عا حو القياس فكلا لا ينس قيصاً إلا حرفه ولا ثوباً إلا منته

كان كثيرًا ما يطوف في البرارى والهضاب ويكتب الشعر ياغبه في الأرض على التراب ودمعه يجرى على خديه مثل قطار السحاب ، فلما طال عليه الحال رقت له قلوب الرجال وأقبل منهم جماعة على أبيه وقالوا له أخرج به إلى مكة يطوف بالبيت لعن الله يعاقبه وعن حب ليلي يسليه فأجابهم إلى ذلك وامتل وسار إلى مكة على عجل فلما قدموا به قال له أبوه يا قيس تعلق بأستار الكعبة ففعل فقال اللهم يا من احتجب عن عبود العالم بما كان ربما يكون أرحه من حب ابلي وأزل عند هذا الجنون ، فقال قيس أيها الإله الحى القادر على كل شئ إني تأب إليك من جميع أخطاى والذنب إلا عن حب ليلي وذكرها فإني لا أتوب ، ثم تأوه وتهدو وتمس الصعداء وأنشد :

دعا المحرمون الله يستغفروه بهـ مكة شعداً كي تمحى ذنوبها
و زديت : يا رحمن . رثا بقى لنفسى ليلى سم أمت حبيبها
يقولوا تب عن حب ليلي وذكره ، وتلك لعمري توبة لا أتوبها
يقر لعيني قربها ويزيدنى بها عجباً من كان عندى يعجبها
فيا ناس تهربوا است رثا بلى بأرأى نفس غاب عنها حبيبها

و جمع أبوه هذه الأبيات 'مهملات' سمه 'العبرات' ثم أخذه بده إلى محفل من رجال رسأه أن يدير له الفرج والخلاص من هذه الحال ، فلما أخذ ليس في الدعاء له أنشد وقال :

ذكرتك والحبيب له ضجيج بهـ مكة والقلوب لها وحيب
ففت ونحن في به حرام به تده أحضت أقاوب
أتوب إليك رحمتك حيث فقد تكاثرت الذنوب
وما تن هوى يبي رثا كي ربه رثا يئنى لا أتوب
تكميف وعسى تى ردين انر- إليك منها أو نيب

(قد أروى) ثم به ترك أباه وأخرم ونهزم وقصد البرارى والأكم

فتبعه أبوه وجماعته من قومه حتى أدركوه . وأرادوا أن يربطوه بالحبال ويكتمفوه ، فقال لهم بالله عليكم تمهلوا على قلبلا فإن قلبي أغشى قلبلا ثم صاح صيحة عظيمة وأشد يقول :

أحقاً عباد الله أن لست صادراً ولا وارداً إلا على رقيب
ولا جالساً وحدي ولا في جملة من الناس إلا قيل أنت مريب
وهل ريبة في أن تحزن نجية إلى إلفها أو أن يحزن نجيب
وكيف أعزى القلب بعد فراقها وأنى على طول الزمان حبيب
(وقال أيضاً)

إلى الله أشكو فقد ليلى كما شكاً إلى الله فقد الوالدين يتيم
يتيم جفاه الأقربون معظمه كسير وقد الوالدين عظيم
بكيت كبدى من ففدها وتهللت دموعى كما ضل فهو سجوم
وإن زماناً فرق الله بيننا وببك ياليلى فذاك مشوم
دعوني فما عن رأيكم كان حبا ونكده حفظ لنا وقسيم
(وقال أيضاً)

يا بيجر ليلى قد بعثت في المنى وردت على ما لم يكن بلغ الفجر
عجبت لسمي الدهر بيني وبينها لما انتضى ما بيننا سكن الدهر
فيا حبا زدنى جوى كل ليلة ويأساؤه الأيام موعدهك الخسر
تلكاد يدي تدهى إذا ما لمستها وينبت في أطرافها الررق الخضر
وروجه له ديباجة قرسية به تكشف البلوى ويسنزل القطار
ريهتر ن تحت التيب قوامها كما أتر غصن الماء ولئن انقهر
يا حمدا الأحياء دادمت ذنهم رباحيد الأهرات إن ضمك التبر
إني لتعورنى مذكرة ذنوم كما انتفخو لصففر بالله انظر
تسمى ان به حناو عتبر أرحوت زيارت ليلى أن بكرن أما لأجر

فأمره إلا أن أراها فجأة فابته لا عرف ألدى ولا نكر
فلو أن مابى بالخصى فلقى الخصى بالصخرة الصماء لا تصدع الصخر
ولو أن مابى بالوحوش لما رعت ولا ساغها الماء النير ولا الزهر
ولو أن مابى بالبحار لما جرت بأواجها بحر إذا زخر البحر

(قال الراوى) فبكى أبوه شفقة عليه وهطلت دموعه على وجنتيه ، ثم اعتنقه وقبله بين عينيه وقال له يا ولدى إلى متى وأنت فى هذا الشقاء العظيم والبلاء الجسم ، أما كفك الجولان فى القفار وعدم الهجوع والقرار وسهر الليل والنهار ، حتى عدت النشاط وصرت كل يوم فى ضعف وانحطاط ، فإن بقيت على مثل هذه الحال لا تزال فى انزال وانحلال لأنه ليس فى ذلك إلا إضاعة العمر والمصير إلى المهالك ، فعد معى الآن إلى بنى عامر وكن مفشرح الصدر مطمئن الحاطر وأنا أتلافى هذه القصة وأزوجك لبلى وأزيل عنك هذه الغصة قال :

وما زال أبوه يشاغله بالأحاديث اللطيفة والعبارات الطريفة إلى أن راق ولان ورجع معه إلى الأوطان وزالت عنه الغموم والأحزان وفرح به الأهل والحلان وصار عند أبيه فى أعلى درجة وأرفع مكان ، فهذا ما كان منه وما جرى له من مكابدة العشق وحر الصباية والوله . وأما من كان من لبلى فإنه قد شاع ذكرها بالآفاق وتحدثت فيها الناس فى الحجاز وبلاد نجد والعراق ، وتناشدوا ما قال فيها قيس بن الأشعار الرقاق ، التى لم يسبقه إليها أحد من خول الشعراء والعشاق ، فكان كل واحد يؤدان ينظر ويتمنى أن يراها ويبصرها فترادفت عليها الخطاب وكثرت عليها الصلاب ودخلوا على أبيها فى ذلك من كل باب ، وكان من جماتهم رجل من بنى ثقيف يقال له سعد بن المنيف وكان أعظم من طلبها قدراً وأخفهم ذكراً فاستشار الأب ابنته لبلى وأظهر له رغبته فى ذلك المولى وقال لها قد انتشر صيتك فى بلاد العرب

وخطبك من السادات أصحاب المناصب والرتب ، وأنا أصد كل طالب ولا
أصغى لخطبة خاطب خولاً من زوج دميم الأخلاق قبيح السيرة كالمناق
لا تقدرن على معاشرته وتتبعين في مراقبته ، إلى أن خطبك هذا الإنسان
وهو من أكابر هذا الزمان وعمدة الزوات والأعيان كثير المال محمود الخصال
عند تحلى بالآداب والجمال واتصف بالهمة العلية والكمال وقد أجبتة إلى هذا السؤال
وأزوجك إياه دون بقية الرجال لأنه لا بد للمرأة من زوج يلها فيسترها
ويفرج همها ، فلما سمعت ليلي من أبيها ذلك الخطاب ، أظهرت الكدر
والاكتئاب وعظم عليها ذلك الأمر واكنوى قلبها بلهب الجمر لأن هذا
الخبر لا يوافق غرضها ولا يشفي غلتها ومرضاها لأنها كانت تحب قيساً وتميل
إليه ولا يستقر خاطرها إلا عليه نظراً لما بينهما من المحبة القديمة والصداقة
القوية فأنت ولم تقبل وفضلت حلول الأجل وقالت هذا أمر لا يتم أبداً
ولو ميت قهراً وكمداء فلما سمع كلامها وعلم مافي ضميرها ومرامها تهددها
وذار به الغيظ ، فلطمها فاجتمع عليه الجيران والأهل والحلان فلما رأت
ما حل بها من الهوان وإن موج البلايا أحاط بها من كل مكان أجابت سؤاله
بالكره والإجبار لا بالطوع والاختيار ثم ندمت على زواجها غاية الندم
وجرى قلم القضاء بما حكم ، وصارت محبتها له تكلفاً ورؤيتها إياه تعسفاً
فكان لا يقر لها قرار ولا يطيب لها عيش لا بالليل ولا بالنهار . قال ولما
بلغ قيساً هذا الخبر اضطرب وتحرق قلبه والتهب واستولى عليه الجنون
بعد الهدوء والسكون وأشد يقول :

وقد خبروني أن ليلي تزوجت ولا بد لي من أن ألاق خليلها
إن كان مثلي لم ألمها على الهوى وإن كان دوني فبس ما قد قضى لها
وإن كان من أو بار ما حوت القرى لقد تعست ليلي وأضنت خليلها

(وقال أيضاً)

حبيب تأى عنى الزمان بقربه فصيرنى فرداً بغير حبيب
على قلب محزون ونفس مدله ووحشة مهجور وذل غريب
فياحبب الأيام هل فيك مطمع لرد حبيب أو لدفع كرب

ثم خنفته العبرة وزادت عليه الحال ، فخرج يهيم فى الصحارى والتلال
ويطوف فى قنل الجبال ويتحمل المشقات والأثقال ، ويقتحم الموارد حتى
ضعف جسمه من شدة الانحلال . وجف جده على عظمه لقوة الهزال يشق
على الأهل والجيران والأصدقاء والتلال وقاوا لأبيه وكانت تحمله وترضه
على طبيب ربما انتفع بعلاجه وتعود صحته إليه عن قريب ، فامتثل وخرج
إلى الصحراء فى طلبه . حتى اجتمع به ، فلاطنه بالكلام ولاقاه بالبشاشة
والإكرام ثم إنه سار به إلى حبيب فى تلك الأطراف يقال له علقمة بن
عساف ودونى بلاد العرب مشهور بصلاح كرمه ومسحر ، فلما دجن عليه
حدثه بقصة ولده على الدمام وما هو فيه من العشق والغرام وكيف أنه قد حمل
نفسه مالا يراه إلى أن أنكره . فقام وأصناد صدره بركة لمن يراه بعد ما كان
فريد زمانه ورحيم دهره وأوانه وفاق بالقصص والآداب سائر أقرانه ،
فعند ذلك أخذ حبيب يسقى شربة بعد شربة ، ريكرها فى الأجابة ، فلما
أكثر داء المتل أشد وقال :

ألا يا طبيب الجن ريميك داوى	فإن طبيب الإنس أعياء دائماً
أنت طبيب الإنس شيخاً مدواً	بمكة يعطى فى الدواء الألمانياً
قلت له يا عمر حكمت بحكمة	إذا ما كبرت يوم يا عمر ما
فقد نزلت بآبى برداً فى حاجته	رشرح فيه سلوة ودين
نقلت دمرضى شمس يسمعون	أعزى رب الناس منك سارياً
فقد نزلت نداء الحب أن يلقى الحبيب	باحتماء من تهوى إذا كنت خالياً

قال الطيب نعم ليس للعاشق الكتيب دواء إلا منادمة الحبيب ، فإذا حصل على ذلك الغرض زال عنه ذلك المرض هذا وقيس يعرض على لسانه وشفته حتى كاد من فرط الحزن يقطعهما ، ثم نهض وخرج على وجهه هائماً في الفلوات ، فبينما هو يدور رأى ناراً في بعض الجهات فدنا ، وإذا حولها قوم رعاة فأشمد وقال :

رعاة الليل ما فعل الصباح ، وما فعلت أوائله الملاح
وما بال النجوم معلقات بقلب الصب ليس لها براح
كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلي العامرية أو يراح
قطاة عزها شرك فباتت تتجاذبه وقد علق الجناح
رعاد الليل كونوا كيف شئتم فقد أودى بي الحب المتاح
(وقال أيضاً)

ذكرت عشية الصدفين ليلى وكل الدهر ذاكرها جديد
إذا حال الغراب الجون دوني فسقبي إلى ليلى بعيد
على ألية إن كنت أدري أينقص حب ليلى أو يزيد
ها في طرفها لحظات حثف تميمت بها وتحي من تريد
وإن غضبت رأيت الناس هلكي وإن رضيت فأرواح تعود
(وقال أيضاً)

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصلا
فإن لميب المار بين جوانحي
فقالوا نريد الماء نسقي ونستقي
وقالوا أين النهر قلت مدامعي
وقالوا ولم ندنا فقلت من الهوى
ألم تميزوا وجهاً ليلي شعاعه
تعالوا اصطلوإن خفتم القمر من صدرى
إذا ذكرت ليلى أحر من الجمر
فقلت تعالوا فاستقوا الماء من نهري
سيغنيكم دمع الجنون عن الحفر
فقالوا الحالك الله قلت اسمعوا عذرى
إذا برزت يغني عن الشمس والبدر

مسر بوهي خاطر فيؤودها
معمة: نو قابل البدر وجهها
هلاية الاعلى ماطحة الذرى
مسة همساء مضومة الحسا
ويجرحها دون العيان لها فكري
لكان له فضل ممين على البدر
مرجحة السفلى مرفقة الخسر
موردة الخدير واضحة النمر

مدملجة السافين بضل بضضة
فقالوا أجرون فقلت موسوس
ولا ملك الموت المريح يريحى
ومحت بوتك البين منها حمامه
عنى دوحه نبت تحت أصولها
مطارقة طوقاً ترى د خطاه
أنت أعنى لصوت منها فريحت
وقمت له عودى قلب ترمت
كأن فؤادى حزين حرمها
مودعتها وإنما تقدمح فى احده
وحت كأنى به راحته جفها
أنت صريح الحب دام من الرمي
رمته يد الأيام عن قوس عره
سفين مسمومين من رأس شاقق
سدى دعير فى الهوى دة تها
وركت بار كمت من ماء مزنة
ولو كمت أيلاً كمت بل توصل
عيت سلام الله يا غاية المسى

مفلجة الأنساب مصقولة الحمر
أطوف بطهر البسد قفراً إلى قفر
ولا أنا ذو عيش ولا أنا ذو صبر
أغت بلس فى درى ناعم صر
نواقع ماء مده رصف الصحر
أصول سواد مطمئن على البحر
فؤاداً معى بالمسيحه أو تدرى
تادرت العينان سحاً على الصدر
حياح عرب رمة نضاً إلى الوكر
وتودعنى على أهر من مصر
بقيت دم الحبات حين نهى عمرى
وأصبح مروع الفؤاد من الصدر
سهيى عسر تنى روى البحر
معدرت حجر التراب والبحر
فموت لا إنى لم يزر قرى
ولو كمت يوماً كنت من غفوة البحر
ولو كمت بجما كنت برالدحمى يسرى
وقالمتى حتى التيامة والخسر
(وقال أيضاً)

بلى واين العشر والتفجع والو
بهدرته تجرى السنين والبحر
وعظمه أبام المديحة والجر
على رأس سهر فضلت ليلة القدر

لا تمت إلى باب لا لحما
والذى لا يعلم عيب غيره
فى ردى من الطور عده
لقد رنات لبلى على الناس مثل ما

الذى فاق بالفصاحة والنظام على كل أديب وشاعر ، وكان قد عشق . جارية
في هذه الأيام يقال لها ليلى بنت المهدي بن عتصام وتعلق قلبه بحبها وهام ،
وهجر الأهل والأحباب وقصد البراري والهضاب ، واختار القفار وطنا
واتخذها لنفسه سكنا ، فقال نون : قد كنت أسب أن أنظر هذا الرجل وألقاه
وأحظى برؤياه لأنى سمعت كثيرا عنه فكيف لي بالدنونه قال أذكر له ليلى
فاذا ذكرت لها أفاق وصفا خاطره وراق ، وأنشدك من أشعاره البديعة ما لم
يسبقه إليه أحد من شعراء عصره وريته . فعند ذلك تقدم نوفل إليه وسلم
عليه ، وقال له بحياة يسار التي هي عنك أعظم من كل شيء شنف بنفائس
أشعارك أذن لا نهقد . لعن أباك أصبح الناس كلاما رأ جودهم شعرا ونظاما ،
فبكي قيس رنمسل لما سمع كلام نون . وأنشد من نوادر متبول القصيدة التي
قالها في التمدن :

تذكرت ليلى والسنين الخوالي	وأيام لا نخشى على الدهر زاهيا
ويوم كنال الريح تجر ذبا	بليلى ثلثي وما كنت لاهيا
بتمدين لاحت نار ليلى ومجتمى	بذات الغضى ترحى المطى النراحي
فقال بصير اترمحت كوكبا	لدى سواد الليل فردا يمانيا
فقلت له بل نار ليلى تروحت	علما تسامى ضروها فبدانيا
فليت ركاب لقوم لم تقطع الغضى	وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
فيا ليل كم من حاجة لي سمعة	إذا جئتكم بالليل لم أدر ماهيا
خليل أن لا تبكبانى ألتمس	خليلا إذا أنزوت دمعى بكى ليا
فما أشرب إلا نعام إلا صباة	ولا أنشد إلا أشعار إلا نداويا
وقد يجمع الله المستيتين . بعدما	يظمان كل الظن أن لا تلاقيا
لما الله أقواما يقولون إنا	وجدنا طوال الدهر المحب شافيا
وعهدى بليلى وهى ذات مؤصد	نرد علينا بالعشى الموشيا

فغضب كرينو ليلي وشب بنوابها
 إذا ما جلسما مجلساً نستلذه
 سقى الله جارات الليلى تباعدت
 ولم ينسنى ليلي افتقار ولا غنى
 ولا نسوة صبغن كيداء جلعـد
 خائى لا والله لا أملك الذى
 قضاهـا لغيرى وابتهـلانى بحبها
 وخبرتمانى أن تسيماء منزل
 فهذى شهور الصيف عناقـد انقضت
 فلو أن واشى بالنيامة دأره
 ماذا لهم لا أحسن الله حالهم
 وقد كنت أعلو حب ليلي فلم يزل
 غيارب سو الحب بينى وبينها
 في طاع النجـم الذى يستدى به
 ولاسرت ميلا من دمشق ولا بدا
 ور سميت عندى لها من سمية
 ولا هبت الريح الجنوب لأرضها
 فإن تمسوا نيفي وتمموا بلادها
 فأريد عهد الله أنى أحبها
 نصى الله بالمعروف منها أخيراً
 يا ليلي أمت يا أم مالك
تسبب اليلاني يسبب اليلاني

وأعلاق ليلي في فؤادى كما هي
 تواشوا بنا حتى أمل مكانيا
 بهن النوى حيث احتلن المطالبا
 ولا توبة حتى احتضنت السواريا
 لتشبه ليلي ثم عرضنها ليا
 فضى الله في ليلي ولا ما قاضى ليا
 فهلا بتى غدير ليلي ابتلايا
 ليلي إذا ما الصيف ألقى المراسيا
 فما للنوى ترمى بليلى المارميا
 ودارى بأعلى حضرموت اهتدى ليا
 من الحظ في نصريم ليلي حبايا
 بن المقضر والإبرام حتى علانيا
 يسكون كفافاً لا على ولا يسا
 ولا الصبح إلا هيجا ذكره ليا
 سميل لأهل الشام إلا بدا ليا
 من الناس إلا بال دمعى ردائب
 عن الليل إلا هبت الريح جنيا
 على ملين تحموا على القرائيا
 فهذا لها عدى فما عندها ليا
 وبالشوق منى والغرام قضى ليا
 أشتاب فويدي (١) واستهان فؤادي
 وقد عشت دهرأ لا أدد الالياني

وأخرج من بين البيوت لعلنى
أراى إذا صليت يمت نحوها
وما بى إشراك ولسكن حبا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها
خليلى ليل أكبر الحاج والمنى
أعمرى لقد أبكىتنى يا حمامة العقيق وأبكيت التيمون البواكيا
خليلى ما أرجو من العيش بعدما
وتجرم ليلى ثم تزعم أنى
فلم أر مليئا خليلى صبا
خليلان لا ترجو اللقاء ولا نرى
وإنى لأستحيك أن تعرض المنى
يقول أناس غل مجنون عامر
بى اليأس أو دار الهيام أصابنى
إذا ما استطال الدهر يا أم مالك
إذا اكتحات عين بيمينك لم تزل
فأنت التى إن تلت أشقى عيشتى
وأنت التى ما من صديق ولا عدا
أمصروبة ليلى عن أن أرورها
إذا سرت فى الأرض الفصام رأيتى
يمينا إذا كنت يمينا وإن نكن
رأيتى لأستفتى رما بى نعمة
بى اسحر إلا أن لاسحر رقية
إذا نحن ادجيا وأنت أهمم

أحدث عنك النفس بالليل خاليا
بوجه وإن كان الصلى ورائيا
وعظم الجوى أعبا الطيب المداويا
وأشبهه أو كان منه مدانيسا
فمن لى بلىلى أو فمن ذا لها بيا
أرى حاجتى تشتري ولا تشتري بيا
سلوت ولا يخفى على الناس ما بينا
أشد على رغم الأعداى تصادفنا
حليلين لا يرجون إلا تلاقيا
بوصلك أو أن تعرضى فى المنى
يرره سنوا قلت إنى لما بين
فياك عى لا يكن بك ما بينا
بشار المسايا تقاضيات وساب
بخير رحلت غيرة من راديا
وأنت "تو" إن شئت أنعمت بالبا
يرى نصوص ما أبقيت إلا رضى
ومتخذ ديسا لها أن ترائيا
أصانع رحلى أن يميل حياليا
تملا به زعى الهوى عن سدى
أبى حبالا عذت يلقى حباله
وللى لا أبقى ه. لادور راقب
كفى مضار بذكراك هدى

ذكت نار شوق في فؤادي فأصبحت
 ألا أيها الزكب اليمانون عرجوا
 أسائلكم هل سال نعمان بعدنا
 ألا يا حمى بطن نعمان هجما
 رأيتكم في وسط صحبي و أكر
 ويا أيها قمريتان تحابوا
 فإن أهما ستطربهما ر أردما
 ألايت شعري يا أيي و ما يا
 ألا أيها اواشي بسلي ألا ترى
 من طس ان احباب يا ام مالك
 عيار ر صهرت لبلي من الى
 و لا فغصها في وادى
 على مثل الى يقتل المرء نفسه
 حيل إن ضمهوا بللى فاقس
 (قال الراوى) لما تهي قبس من سحره اهن نرفل طرماً و تمايل عجماً
 وقال له ذك على هذه الاطالة و العاني البديعة وريقة ، فانه
 تشرح اخواطر و القلوب و تجي جمود رائكروب و نسلي المحب على فراق
 المحبوب ، ذك ما تركت من طرائف العزل و السيب و أنوح ليديع في
 وصف الحبيب مقالا لشاعر ثبت قول الحب صيرك إلى ما أرى ، فقال له
 انهم قد ساء لي أكبر مما ترى و أشد يقول :

أياحاجات الحى حين تحملوا بنى سلم لاجاد كن ربيع
 و خيمتك "لاقى بعرج اللوى بلين بللى ما إن لهر رجوع
 إلى الله أشكونية سقت لعصا هي اليوم شتى وهي أمس جمع

فلو لم يهجنى الطاعنون لهاجنى نوائح ورق فى الديار، يرقع
 فداعين فاستبكين من كان ذاهوى نوائح لا تجرى لمن دموع
 لعمري إني يوم جرعاء مالك لعاص لأمر العاذلين مطيع
 وما كاد قلبي بعد أيام جاوزت إلى بأجوار الحدى يريع
 وإن انهمال الدمع بالليل كلما ذكرتك يوماً خالياً لسريع
 ندمت على ما كان منى نداه: كما ندم المغنون حين يسمع
 لعسرك ما شئ سمعت بذكره كيك يأتى بغتة فيروع
 عدمتك من نفس شعاع فأنى نهتك عن هذا وأنت جميع
 ففرت لي غير القريب وأشرقت هناك ثنيا ما لم طلوع
 يضعفنى حبيبك حتى كأنى من الأهل والمال التليد نزع
 وحتى دعاني الماس أحقق ما نقأ وقالوا تبوع للضلال مطيع

(قال الراوى) ثم تزايدت حسراته وتصاعدت زفراته، منهد وبكى
 وتأوه وشكا وقال جدياً الأصحاب وتخلّى عنا الأهل والأحباب دياه من أمر
 عظيم رسيم جسم، فقال له يوفى أعلم أهب الأبح المفضل إن دمت على
 هذه الحال فأبك هالك لا محالة تنب إلى الله ورجع إليه راعته في
 مورك عليه، يكتب عليك هذا العرض ويزيل من قلبك هذا المرض،
 فأجابه قيس قائلاً يا أحمى كيف أضيق نصبر وقد استعل قفى من لهُوى
 بجمهر، فماتت عليك ذهب عى ودعى أقاسى العذاب وأذنته، وورد اخذلاك
 والعجب، لأنك كلما عزيتى وميتى ونصحتى ازدادت فيها محتى رقيوت
 إليه رغبى ثم غاب عنه الخول، أنشد وقال

أيام عني فاني دثمت صب بد نرى الجسم قد ودى، عطف
 ما تبى ماذا تد أتيح له سر سمع به في رجع رابح
 صبتت منى بلا الله ما رحمت يه ربه في الارض ما رحمت

الدين ربولتى والشوق يجرحنى والدار نازحة والشمل منشعب
كيف السبيل إلى ايلي وقد حجبت عهدي بها زماناً مادونها حجب
(وقال أيضاً)

لوسيل أهل الهوى من بعد موتهم هل فرجت عنكم مذمم الكرب
لقال صادقهم أن قد بلى جسدى لتكن نار الهوى فى القلب تلتهب
جفت مدامع عين الجسم حين بكى وإن سبى سمع عين الروح تنسكب
(وقال أيضاً)

وقائروا لى تشاء سلوت عنها فقلت لهم فإنى لا أشاء
وكيف وحبا علق بقلبي كما علق بأرشية دلاء
لها حب تشاء فى فؤادى فليس له وإن زجر انتراء
وعسانة تقطعنى صلاً وفى زجر العوازل لى بلاء
(وقال أيضاً)

إن "غواى قتت دشائها ياليت من جهل الصباية ذاقها
فى صدى عن عقارب يالسمعنا ما من لسعن بواجد ترياها
إن الشقاء علق كل خريد كالحير زانه لا تمز عاقها
يض تشبه الحقائق نديها من عاجه حكك الندى حقائقها
يدى الحبيب جوده وإنما يكسين من حمل الحرير رقاقها
زانت رواقها دقاق خصورها إلى أحب من الخصور دقاقها
إن نى طرق الرجال خياضاً ما كفت زائرها ولا طرفها
(ناب رأى) قد جرب زوال من سرعة يديته بعذوبة الأمضا رقة
فصحت ركانت لى راحة شفقة سايه ، فقال له أيها الحبيب والاشاعر
المليح به لى راحة لى راحة فى هذه الحال تقامى لى راحة والى راحة
فى راحة لى راحة لى راحة وأنا زوجهك ببعض البنات الأكر من

هي احسن واحلى من ابة عمك ليلى ، فلما سمع كلامه جمدت عيناه ونظمت
بلاياه ، وقال لا سمعك قولك أبداً ولا تركت ليلى على طول المدى ، فعند ذلك
تركه ودار ربي قيس يهيم في السهول والأوعار ، ينشد الأشعار ويتقوت
بنبات الغمار يقامى المشقات والأخطار .

(قال الراوى) وكانت ليلى منذ تزوجت لا تنشف لها دمعة ولا تبرد
لها لوعة وذلك لخوفها على قيس ووجدتها به لأنها كانت مشغوفة بحبه وكان
لا يقر لها قرار ولا يطاوعها اضطبار بل كانت تبكى في الليل والنهار بدموع
غزار إلى أن فاردم قلبها من فرط عشقها وحبها ، ولما طال عليها الحال
أنشدت تقول من فؤاد متبول :

إذا هدأت رجلى بدأت بذكره وأحلم فى نومي به وأعيش
إذا ذكر المجنون زالت بذكره قوى النفس أوكاد الفؤاد يطيش -
ووالله ما زال الفؤاد يحنه وإن كان صدرى من هواه يهيش
قال البيهقي بن عنبسة - ثنى بعض الرواة أنه قيل لليلى العامرية رأت
من لم تنه عن ذكره لنقتلنك معا ، فبعثت إلى القائل على يد ولدها
رقعة مكتوباً فيها .

توعدتنى قومي بقتلى وقتله فقلت اذنبونى وأتركوه من الذنب
ولا تبعوه بعد قتلى ذلة كفى بالذى يلقيهم من سورة الحب
(قال الراوى) ثم استدعت بغلام من أهل الحى الذى كانت تعتم
فيه فى كل شيء وكتبت إلى قيس مع ذلك الغلام تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم
أبى يا ابن أعم وفك الله من عافيتك خير أعم ، قد أوحشنى من
آبى الله إليك ، وقد سر عى : أن رأنا مواظبة على لأحران لا رى طريقاً
نفر ولا نرر المستصر ، إله نضاق صدرى رقى صدرى وأتيت على

الأسقام من كثرة البكاء وقلة الأكل والطعام ، ولا شك بأن حياقي في هذه الدنيا صارت قصيرة وأيام إقامتي بسيرة حيث لم يعد لي صبر على الفراق وقد اكتوى قلبي بنيران الاشتياق ، وما بقي في الأمر إلا التسليم والانقياد على ما قدره علينا رب العباد ، وختمت كلامي بهذه الأبيات :

قد كنت حاذرة للدمر عارفة أن سوف يطالبني بالرمي مذتقدا
حتى رماني بمن قد جل عز صفتي فما أرى لي به وبلي الغداة يدا
لقت الدواة بماء العيز ثم ، كتبت ما يكتب المجهود إذ جهدا
هذا الرداع لمن روعى الفداء له قد خفت ألا أراه بعده أبدا

ثم إنها أمرت ذلك الشاب أن يسير في طلبه في البراري والهضاب وانها بانتظار الجواب فامتثل وسار وقصد الروابي والقمم ولا زال يطلبه في جوارب البر حتى التقى به في يوم شديد الحر قد انجأ إلى كهف جبل عظيم بالقرب من ديار بني تميم وهو مستلق على ظهره وغارق في بحار فكره ينشد ويقول :

أحن إلى ليلى وإن شطت النوى ربني كما حزن البراع المتهرب
يقولون لبي عذبتك بحبها ألا حبذا ذاك الحبيب المعذب

(قال الراوى) فدأ منه نعلام رحياه بالسلام ولا طفه بالكلام ، وقال له أيها الشاب الطريف والأديب اللطيف ، إن محبوتك ليلى قسما عليك وقد أرسلتني بكتاب إليك ، فيه ما يسر خاطر ويشرح القلوب والنواظر ، فلهذا ذكرت له ليلى رجوع عقله إليه واستوى جالساً على قدميه ، وتناول الكتاب وقرأه ووقف على خواه وضرب وتنهى وكهف دموعه وأشد :

مذا جرت منها الكتاب بعيد خلوت بنفسى حيث كنت من الأرض
لبي نفسي رحمة من جهاتها ويهكي من الهجران بعضى على بعضى
وأي نهر دما سيدياً رسيماً وأفضى على نفسى لها بالذى تقضى
شأن روح رصا لا ينفي وحتى في أيام مخطك لا تقضى

ثم أجابها على كتابها يقول : من قيس بن الملوح الهائم الوامق والحبيب الصادق ، إلى سيدة الملاح وكوكب الصباح ، درة الصدف وياقوتة الشرف ، من قد اتصفت بالمحسن الهيئة والصفات العلية والآداب السنية ليلي العارمية إنني بينما كنت متشوقاً إلى استماع أخبارك واستكشاف آثارك ، ولفظك وحالك ومشاهدة أنوار جمالك ، ليد ورد إلى عزيز رسالتك الموسومة بسماء المحبة المسفرة عن ازدياد الصحبة والصدقة ، فتلقاها القلب بالفرح وزال عنه الغم وانشرح غير أنه لا يخفك ما أنا فيه من السكدر والقلق والضجر وكثرة البكاء والسهر ، وكيف إنني تركت الوطن المألوف وانفردت في الروابي والكهوف ، أهيم مع الوحوش والغزلان وأنتقل من مكان إلى مكان ، وحيداً عرباناً ذليلاً مهاناً أفاشى شراً وأحزاناً لا يستقيم لي حال ولا يرتاح لي بال ، حتى صرت نحيلاً كالخيال وذلك من كثرة الأسواق وتاريخ الهوى ومهارة الفراق ، فقاتل الله أبالك الغدار وبلاء بالويل والندمار لأنه كان سبب بليتي وطردني عن أهلي وعشيرتي وما كفاه ذلك حتى أنه زوجك برجل غريب واختار البعيد على القريب وهذا شرح ما بي من الشقاء والتعذيب . وإنني لك على طول الزمان حبيب .

(قال الراوى) ثم تصاعدت من أنفاسه الزفرات فحتم كلامه بهذه الأبيات

أيامهدى نعى الحبيب صبيحة بمن وإلى من جئتما تشيان
 بمن لو رآه عانياً لفديته ومن لو رآني عانياً لفداني
 فمن مبلغ عنى الحبيب رسالة بأن فؤادى دائم الخفقان
 وإنى ممنوع من النور مدنف وعيناي من وجد الأسى يكفان
 (وضمه أيضاً)

وجدت الحب نيراناً تلظى قلوب العاشقين لها وقود
 ولو كانت إذا احترقت تهانت ولكن كلما احترقت تبود
 كاهل النار إذا نضجت جلود أعيدت للشقاء لهم جلود

(وضمنه أيضاً)

أما والذي أعطاك بطشاً وقوة وصبراً وأزرى بي ونقص من بطشى
لقد محض الله الهوى لك خالصاً وركبه في القلب منى بلاغش
تبرأت من كل الجسوم وحل بي فإن مت يوماً فاطلبوه على نعشى
سلى الليل عني هل أذوق رقاده وهل لضلوعي مستقر على فرشى

(وقال أيضاً)

فؤادى بين أضلاعى غريب ينادى من يحب فلا يحجب
أحاط به الملاء فشكل يوم تقارعه الصبابة والنحيب
لقد جلب الملاء على قلبى فقلبي مذ علمت له جلوب
فإن تكن القلوب كمثل قلبى فلا كانت إذأ تلك القلوب

(قال الراوى) ثم إن ذلك الشاب رجع إلى أبيه بالجواب، وأخبرها عن قيس وأحواله وما يقاسى من وجده وبلباله، فتشوش خاطرها وتكدرت غمائمها وتضاعف همها وغمها، وتحسرت على قيس ابن عمها، فكانت تبكى عليه في الليل والنهار وتشد رقيق الأشعار، ودامت على ذلك مدة مديدة وأياماً عديدة. قال واتفق في وقت من الأوقات أن جاريته رأت في بعض الطرقات عبيداً معه خمسة غرaban، فاستترتهم وأتت بهم إلى سيدتها فخرجت بهم ليلى إلى خارج البيوت رجعت تضرب غراباً غراباً حتى يموت فتمسج زوجها وأذهل. وقال لها ما الذى أخرجك إلى هذا العمل، فقالت أن نعيم الغراب يدل على نراق الأحباب وتمزيق شمل الأصحاب، وأن ابن عمى قيساً ذكرهم ن شعره جملة مات، وأمرهم أن يلقوا على عرصات القفار وقد قال:

مر أجز غرابان تصدين عسوة بينونة الأحباب دمىك سامح
نعم سادات العيوان من بيرة كما سل من نظم الالكى تطارح
لا يا غراب بين لا صحت بدمى وأمكن من أوداج حلقك ذامح

يروع قلوب العاشقين ذوى الهوى إذا أمنوا الشنحاج أنك ضائع -
 وعد سواء الحب واتركه خالياً وكن رجلاً واجمح كما هو جامع
 نأيب أن لا أقع بغراب بعد هذا المقال إلا قتلته فى الحال ، واعلم يا هذا
 حفظك الله وهداك أن تزوجى إياك لم يكن رغبة فى جمالك ولا فى رفعة
 مقامك وكثرة مالك ، وقد كنت حلفت أن لا أتزوج بعد قيس أبداً ولو مت
 شوقاً وكذا لأنه صاحبي ومعتمدى وقررة عيني ومهجة كبدي ، وحببه لا ينتزع
 من قلبي وجسدى ، وليس فى ذلك من عار ولا عيب ولا شئار ، لأن محبتي له لم
 تكن صادرة إلا عن نية صالحة وطوية طيبة ذكية الرائحة ، ولكن كتب
 عبد الملك بن مروان يأمر أبى بتزويجى .

فكان الأمر ولكنى سأصبر على ما رقه القلم وأثبتته الله حيث حكم .
 فلما سمع زوجها ذلك الخطاب اشتبه من كلامها ووقع فى اضطراب وأخذته
 الغيرة وداخله الشك والارتباب ، وتغيرت نيته وتقدم ضميره بالسوء إليها ،
 ثم انه ذهب إلى أبيها فى الحال وقص عليه ما سمعه منها من الماتل : فحجل ذلك
 الحديث عند سماعه هذا الحديث ، واضطرب جسمه وارتجف ، وقال له لا
 تخف ، ثم أخذ يلاطفه بالحديث والكلام وأخبره بخبر قيس على التمام
 وكشف أنه حجبها عنه من سنين وأعوام وأخرج له كتاب عبد الملك بن
 مروان ، وقال له إن الخليفة يهدر دمه إن عاد واجتمع بها فى مكان وما زال
 يحذره بمثل هذا الكلام حتى زالت عنه الشكوك والأرهام ، واشتاق إلى
 رؤية قيس ومناذمته وماله إلى معرفته ، وما زال يترقب الفرص إلى أن
 خرج ذات يوم إلى الصبد والقنبر فالتقى به وهو فى روضة خضره بالقرب
 من الصجرهاء فبقر به قطيع من الغزلان والوعول وهو بنقار إلى طيبة تضع
 نخشها وهو ينشد ويقول :

نقد سرة ننى أم خشف وأنها إذا صرع القوم الكرى لطروق

أقام فريق من أناس بودهم بذات الشرى عدى وبات فريق
بحاجة مخزون كتيب فؤاده رهين ببضات الحجال عديق
فتقدم زوج ليلي إليه وسلم عليه وأنشد يقول :

ومن عجب جنونك في فتاة مزوجة سـواك وان تراها
أيا مجنون كم نهدي بليـلى كأن الله لم يخلق سواها (١)
(قال الراوى) فصاح قيس من شدة الرجد والوسواس ، وسأل عنه
بعض الناس ، فقيل له هو بعن ليلي "أنى تجبها وترغب فرجها ، فخر مغشياً عليه
ثم أفاق فأشدد يقول :

بربك هل ضمنت إليك ليلي قبيـل الصبح أو قبلت فأها
وهل رقت عليك قرون ليلي رفيف الالهوانة فى نداها (٢)

فصاحك زوج ليلى وتبسم ، وقال : اللهم إـد حلتى فنعم ، فلما سمع قيس
معه ذلك المقال اضطرب فؤاده وقبض بكلتا يديه قبضتين من الحجر ، فما
فارقهما حتى سقط مغشياً عليه . وسقط الحجر مع لحم راحتيه ، وعض على
شفتيه فقطاعها تقدم زوج ليلي مغموما متعجباً منه .

(قال راوى) وقد تذكر زوج ليلي وأشوش خاطره وتعكر ، وقال
له احذر يا قيس من غفلات الزمان وسطوات الأعداء فإن أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان قد يهدر دمك مرة ثانية إن كنت لا تنتهى عن ذكر
هذه الجارية لأنك فضحتها فى الأشعار ، وهتكتها فى سائر الإفطار ، وقد
أعلمت بحقيقة الخبر فمكن من ذلك على حذر . فزاد بتيس القلب وانضجر
وفأمر دعه على خزيه وانحدر ، وقال له والله إله منذ ثلاثة أيام بينهما كنت
طرف فى بعض لآكام زيارى حوران وقالالى وحق الملك انه يان لقد

(١) هكذا فى الأصل ولم يحدثما فى الديوان
(٢) ذكره أبو نوح فى معانيه ص ٤٤٠

لقد قضى الرحمن بانقضاء أيام عبد الملك بن مروان ثم أطرق ملياً وأقام مدة لا يتكلم شيئاً ثم أجمع فيه النظر وأجال قداح الفكر، وقال أقسم بجامع الشتات ومخرج النبتات، أنها سوف تصلكم الأخبار أنه قد مات، فأندهش زوج ليلى من كلامه، وارتد راجعاً إلى خيامه، وما مضى أكثر من ثلاثه أيام بعد ذلك الكلام، حتى شاع الخبر بموت عبد الملك في قبائل العربان فتمجج زوج ليلى من ذلك الاتفاق الغريب والامر العجيب.

(قال الرورى) ركن أبو ريس لا يطيب له عيش ولا يريح له بال خوفاً على ولده من الهلاك والويل، لأنه كان عالماً بالحوادث التى هو فيه والاشتهاء الذى كان يؤلمه ويرذبه، فخرج من طائفة ذات يوم مع جماعة من القوم من زيارته بغير دليل، ولما كان بعد ثلاثة أيام من اليوم الرابع اتفقوا به وهو على الرماح جالساً وقد أشرق برأسه إلى الأرض عابساً، فبكى أبوه وترأس عليه رقبته بن عينييه وقال له يا ولدى وبهجة كمدى إلى متى وأنت فى هذه الحال تتسمر النساء بالأموال والمشقة والإدلال، بعد ذلك الجاه والإدلال، ما بين عتاك رحمت وأدبك وبهك، هذه كسمات مادهاك، فقم يا الآن نرجع إلى الأوطان، فإن الذى أنت فيه إنما هو من عمل الشيطان، فزجره سميرت برحمتى الله، فقال له أنت سابع رلامرك طامع إلا فى هذا الشأن خارج عن حد لإمكان، ثم مضت تيمناه بالندوع وأشد من واد مصدرع:

الله يعلم أن النفس هالكة باليأس منك ولكنى أغنيها
منيتك النفس حتى قد أضربها واستيقمت خلفاً عما أمنها
وساعة منك ألهوها وإن قصرت أشهى إلى من الدنيا وما فيها (١)
قال له أوه اذكر الله فى نفسك قبل حلول رمسك، فقال قد صدقت وبالحق نطقت وأشد يقول:

دعوت إلهى دعوة ما جاليتها وربى بما تخفى الصدور بصير
لئن كنت تهدي برد أنيابها العلا لأفقر منى . لئنى افقير
وقد ساءت الأخبار أن قد تزوجت فهل يأتينى بالطلاق بشير
(وقال أيضاً)

ألا تلك ليلي العارضة أصبحت ترطح إلا من ثقيف جبالها
هم حسوهم محس السد وانبعى بها المال أقوام ألا قل مالها
إذا التفت والعيس صعر من البرى بنخله جلت عبرة العين حالها
(وقال أيضاً)

عفا الله عن ليلي وإن سفتك دى فإني وإن لم تجزنى غير عائب
عليها ولا مبد لليلي شكاية وقد يشنكى المشكى إلى كل صاحب
يقولون تب عن ذكر نيلى رحبها وما حدى عن حب ليلي بتائب
(قال الراوى) ثم إنه تركهم وذهب ونبط في ذلك البر راغب وم
زك يحول من مكان إلى مكان حتى وصل إلى جبل يقال له ثوبان وكان كثيراً
ما يجتمع ليلي في دلت المسكن ، فـ ، رآه تذكر أيام الصبا وتجددت عليه
الطموم والأحزان وأنشد وقال :

وأجهشت للثوبان حتى رأيته وهلل للرحم حين رآنى
وأذريت دمع العين لما رأيته ونادى بأعلى صوت ودعانى
فقلت له أين الذين عهدتم حر اليك في خمب وطيب رمان
فقال ضوا واستودعوني بلادهم ومن ذا لئنى يبقى مع الخدائن
ولم يكى الوء من حذى عدأ وراءك والخيال مؤتمنان
سجرا وبهباتاً ووبلا وديمة وسجأ وتسجداً إلى نملار

ثم به بكى من فؤاد مجروح ، وإذا به يسمع صوت حمامة تنذب إليها
رتوح فأنشد :

لقد هتف في جنح ليلي حمامة على فنن وهنسا وإني لثائم
فقلت اعتذار - ند ذاك وإني انفسى فيما قد أثبت - للثائم
أزعم أنى عاشق ذو صابئة بليلي ولا أبكى وتبكى البهائم
كذبت ويدت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتنى بالبكاء الحائم

(وقال أيضاً)

أيا جبل الثلج الذى فى ظلاله غزالان مكحولان مؤانقان
غزالان شسا فى نعيم وغمطة ورغدة عيش ناعم عطران
أرغتهما ختلا فلم أستطعهما فقرا وشيكا بعد ما قتلا
خليلى أم، أم عمرو فنهما وأما عن الأحرى دلا تسلا
فما صاديات حمن يوماً وليلة على الماء دون الورد هن حوان
يرين حمام الال والموت دونه وهن لأصوات أسقاء رواب
بأكثر منى حسرة وصماته اليها ولكن الفراق عرني
خايلي لم ميت و مكهم لبني بياجي فامصيا ودران
أقل حاجتي وحدي فيارب حاجة قضيت على هول وخوف مكان
وأن أحق الس منى تيمية مشرة آها من او يشا تنان
ومن قاذى الموت حتى إذا صفت ، مشدرة سم ارفع سمى
ثم لمه ترك المكال وقصد الرواب والكشور وهو يسد ثم شع ر حسان
زبيم مع النوحوش رالولان .

وانفق أن رجلا من أسد حرج ذات يوم من الدار طاماً ابرى
والقفار وكان ذلك في عام أسهب أمسكت السماء فيه مطرها ، والارض زنتها .
فرحل فقه ريكب المصعب والداول ، تردده رص ويتحصده أحرى
قال الرجل وما رات أتعجب لسهو والوعر ، حتى صمرت من السدى
حميفة رفعت ر روضة سمسبة كثيرة الأنوار زلزل ، والآن زلزل سمعتى
نفسى إلى الإلالم بها وودت أن أقيم فيها وأتره فى بعض مواجها مزات و

أرجاء تلك الأزاهير المونقة والأنوار البديعة المورقة ، وأنخت ناقتي إلى
قنوان شجرة صغيرة وجلست بسيفي ، فبينما أنا كذلك ، أناهل في تلك الروضة
والمروج الطويلة العريضة إذ سقط رجل من جراد كثيره الأعداد على ذلك
الواد فاهترشت جنباتها وأرضها وأخذت طولها وعرضها . فظلت متعجباً
مما أرى .

ثم رميت نظري في زواحيها ، فإذا أنا بشخص أقبل من صدر البرية
ناحل الجسم عار من اللحم ، وما على جسده غير شعر ممدد على صدره ،
وزغبات على عكته ، فرائع منفره ، متهارتي خرفاً ووجلاً وخشيت
أن أكون على شرف الهلاك ، وما شككت أنه شيطان مرد نلنا دنائتي
أنشد يقول :

حب البنا بك يا جراد أرض وإن جاءت بك الأكباد
برحمتك لأصارع لأوراد لما يكسر من لنا قتاد
ولا لابناء السبيل الزاد

فهائت له زنى أنت أم جن ؟ زانياً يقول :

إليسك عني فإني هاتم صب أما ترى الجسم قد أودى به الخطب
زوقه أيضاً .

في قلب مت حزاناً ولاتك جازعا	إن جزوع القوم ليس بخالد
هويت فتاة كلفزاة وجهها	وكأشمس يسي دلها كل عابد
ولي كبد حرى وقلب معذب	ودمع حديث في الهوى غير جامد
وآية وجد الصب تهطل دمه	ودمع شجي الصب أعدل شاهد
على ما انطوى من رجده في ضميره	على الآسات الناعمت الخرائد
فيا ليت أن الدهر جاد برجمة	وهيات أن الدهر ليس بعائد
إليك فعز النفس واستشعر الأسي	فحبك ينمي زائداً غير بائد

وقد شجعت ليلي وشط مزارها وغيرها عن عهدها قول حاسد
فيا أسفا حتمها قلبي معذب إلى الله أشكو طول هذي الشدائد
قال الرجل ثم خر فمشياً عليه ، فبادرت إلى الماء ونضجت على وجهه
فأفاق بعد حين ثم تنفس الصعداء فأنشأ يقول :

لما دلت لودهمت بسطت عذري إذا ما القلب عاوده نزوع بها الحين المباح من بغاء
وجرع للغريب به مريع إلى أهل الكرام تشاق نفسي فهل يوماً إلى وطني أريه
قال الرجل فعجب من شدة عشقه وغرامه ورقة شعره وعذوبة كلامه
فقلت له : ويحك يا أخا العرب وسيد أهل الفصاحة والادب إنني أراك في
عذاب أليم وخطر عظيم وحال سقيم ، ولا شك أن هذا البلاء الذي أنت
فيه والعناء الذي أنت تقاسيه ناتج من هو أجس رديئة ورساوس شبيهة النية
فبادر الآن واستعمل فكرك الرزين وتب إلى رب العالمين فهو يكشف عنك
هذا الداء الدنين لأنه سمع مجيب ومن أتكل عليه فلا يجيب ، فلما سمع كلامي
بكى من عظم جواه حتى ترازات أركان أعيناه وأنشأ يقول :

يجيشون في ليلي على رائي من العذل من سبلي حراماً ولا حنلاً
سوى أن حباً لو يشاء أقامها ولا تفتنني ظلال المكان لما ظالا
ألا حبذا ألال ليلي على "بلي" وما لذات من نوال وإن تلالا
فما يتمادي العهد إلا تمجددت مودتها عندي وإن زعمت أن لا

فقلت له : ويحك استشعر الصبر ، واستبق مودة الحبيب بكتمان الحب .
واعلم أنك لا تصل إلى الحبيب إلا بالستر ونفيك "شذحة" . فإن انتهك يتطعم
موارد الغبطة ، وليس للمهتوك ألفة والمستور طوبى من "الغبطة" ، فقال :

لقد هم قيس أن يزج بنفسه ويرى بها من نروة الجبل الصعب
فلا غرو أن الحب للدم قاتل يقابه ما شاء حنناً إلى جنب
أناخ هوى ليلي به فإذا به ومن ذا يطبق الصرع من محل الحب
فيسقيه كأس الموت قبل أوانه ويورده قبل الممات إلى الترب
قال فأقسمت عليه أن يأنشدني أحسن ما قاله في وصف المحاجر والنهود
والأطراف والحدود فأنشأ يقول :

لبي أصبو بالعشى وبالضحى إلى خرد ليست بسود ولا عسل
 مضمرة الأطراف هيب بطونها كراعب تمشي مشبهة الخيل في الوحل
 وأعناقها أعناق غزلان رماله وأعنيها من أعين البقر النجل
 وأثلاثها العليا كأن فروعها وأثلاثها الوسطى كثيب من الرمل
 وأثلاثها السفلى براذى ساحل عناقيد تغذى بالدهان وبالعسل
 وترى فمصطاد القلوب عبونها وأطرافها ما تحسن الرمي بالنبل
 وزعن الهوى في القلب ثم سقيته ضبابيات ماء الشوق بالأعين النجل
 وعائب ما صدن القلوب وإنما النبل ريشة بالفتور وبالكحل
 تقيم دماء الماشقين مظلة بلا قود عند الحسان ولا عقل
 ويقتلن أنساء الصباية عنوة أما في الهوى يارب من حكم عدل
 فقلت هل لك من مزيد أيها الشاعر المجيد ؟ فقال نعم وأنشد :

ومفروشة الحدين ورداً مضرجاً إذا جمشته العين عاد بنفسجا
 شكوت إليها طول ليلي بعبرة فأبدت لنا بالغنج درأ مفلجا
 فقلت لها مني على بقلة أداوى بها قلبي فقالت تغنجا
 بليت بردف لست أستطيع حمله يجاذب أعضائي إذا ما ترجرجا
 قال الرجل ثم قطع شعره وذهب وطلب الهزيمة والهرب ، فأنذهلت من
 أمره ونهضت مسرعاً في أثره طالباً الزيادة من شعره ، فلم أدركه إلا بعد
 الجهد وقد تعلق بحبال نجد فرجعت عنه وقد تعجبت منه .

وحدث رجل آخر من بني كساة وهو من أهل الصدق والأمانة ، قال
 خرجت في بعض الأسفار أطوى الفياض والقفار والسهول والأوعار ،
 فأتيت في المسير إلى غدير كبير كأنه البحر المستدير فرأيت في بعض نواحيه
 جارية كأنها البدر انتظام وفي يدها ردة وقصعة مملوءة بالطعام ، فتقدمت إليها
 وسئلت عليها فردت على السلام بأفصح كلام فبينما أنا أتأمل فيها وأنظر إلى
 حسن معانيها إذ أقبلت عانة من الغزلان طالبة الماء من ذلك المكان ، وفي
 أوائها رجل عريان وهو نخيف الجسم كثيب النفس قد اسود جوده من
 تحم البرد وحر الشمس فأومأت الجارية إليه وصاحت عليه وأنشدت تقول :

وخبر عاني أن تباه منزل الليل إذا ما الصيف التي المراسم
فهذه شهر الصيف عناق قد انقضت فها للنوى ترى بليل المراسم
فلما سمع كلامها تقدم إليها حتى صار أمامها فألقت نفسها عليه وقبلته
وأعطته البردة فأخذها واستر عورته ثم تناولته الطعام، فجلس وأكل وهو يبكي
ويتململ، قال الرجل فتعجبت من ذلك غاية العجب، والتفت إلى الجارية
وقلت لها يا جارة العرب من يكون هذا الغلام وماذا جرى عليه من الأحكام
لأنى أرى صفته غريبة وحالته رديئة كثيفة، فقالت هذا والله يا أخي، شقيق
ومهجة فؤادى وكبدى وما كانت هذه الصفة صفته ولا هذه الحالة حالته
ولما كان وحيد عصره ونتيجة دهره، مشكور السيرة طاهر السريرة فصيح
الكلام رفع المقام محبوباً من الخاص والعام، وقد اشتهر بالكرم وعاد
الهمم ومكارم الأخلاق والشيم، وانتشر صيته بين العرب والعجم، واتفق
أنه عشق جارية فافتتن بها وهام، وتواترت عليه الأسقام من كثرة الحزن
وقلة الأكل والنام، حتى انتحل جسمه واعتراه الجنون ومضى عليه مثل
ذلك سنون، وهو يهيم مع الوحوش في البرارى والحضاب ولا يقر له قرار
ولا يلتفت إلى خطاب، إذا ذكرت له زالت عنه الوحشة وعاد عقله إليه وذهبت
عن قلبه الرعدة قال الرجل ولما انتهت من كلامها التفت إلى المجنون، وقال
أيها الرجل المسافر إلى أين أنت سائر، وإلى أية حلة تقصد من حلال العشائر،
فقلت له مرادى أن أسير إلى حى بنى عامر أهل المكارم والمفاخر، قال بالله
عليك متى إلى تلك المنازل والأعلام أقرى ليلى من كثير السلام، وأعلمها
بحالى وما شاهدت من أحوالى وبلغها عنى هذه الآيات وأنشد يقول :

أرى الناس أمان تجدد وصله ففت وأما من خلا فسمين
تخبرنى الأحلام إلى أراكم فيالبت أحلام المنام يقين
شهدت بأنى لم فخنك مودة وإنى بكم حتى الملمات ضنين
وإن فؤادى لا يلين إلى هوى سواك وإن قالوا بلى سيلين
ثم وثب قائماً على قدميه وأرخى البردة عن منكبيه وصاح صيحة قوية
وذهب مع وحوش البرية، فجعلت أخته تبكى وتلطم خدودها وتعض من

شدة الأسف زودها ، وبكى أيضاً على صباه وعلى ما أصابه ودهاه ثم ودعتها وجديت في قطع الهضاب حتى وصلت إلى بني الحريش قبل الغياب ، فقصدت إلى مضرب كبير وقد حدثني نفسه أنه بيت الأمير ، فلما دُتوت منه وقفت متفكراً وفي هذا الأمر متحيراً . ولذا قد أقبلت على عجوز من ذلك البيت فقالت من أنت ومن أين أنت فقلت إني رجل غريب أتيت هذه القبيلة لأجل ليلى خليطة المحزون العاشق المفتون وقد حملني لها سلاماً وشعراً وكلاماً فهل لك أن تدليني عليها وترشدني إليها ، فلما سمعت كلامي قالت أبشر يا وجه العرب بلوغ الأرب ثم إنها غابت وجاءت بجارية بديعة الجمال كأنها الهلال مسرلة بثوب من الحرير الأحمر وفي عنقها عقد من نفيس الجوهر ، يدهش البصر وعيناها تذرِف الدموع وهي تبكي من فؤاد موجوع ، فتقدمت إلى وسلت علي ، وقالت لي أيها الصديق قد بلغني أنك قد لقيت قيساً في الطريق فحملك كلاماً تقول له لي فأذن لي ليلى المشنومة عليه والمشتاقة إليه . فبالحق عليك حدثني بحديثه وما كان من أمره ، فأنشدها ما سمعت من شعره فصارت تبكي وتلطم خدودها وتعض من الأسف على زودها ، هذا ، والعجوز تلطف بمخاطرها وتضمها إلى صدرها وتقبلها في وجهها ونحرها ، وقد احتارت في أمرها ، ثم انتفتت إلى بعد حين وتهدت من قلب حزين . وقالت يا صاحب المهمة الحلية وكاشف الغمة والبالية إذا اجتمعت به مرة أخرى في البرية أهده مني جزيل التحية وأنتسده غده الأبيات :

ألا ليت تمرى والخطوب كثيرة متى رحل قيس مستقل فراجع
بِنَفْسِي من لا يستقل برحله ومن هو إن لم يحفظ الله ضائع
قال ثم إنها أضافتني وترحت بي وأكرهتني فأقمت عندها ثلاثة أيام في عز وإكرام ثم استأذنت وانصرفت من حيث أتيت وتذت عجبتم بما سمعت ورأيت .
(قول لُروِي) وكانت ليلى لا تستطعم بطعام ولا تشرب بماء بل تقضي ليلىها
الهُوَيْن . الرَاء والتعويل ، وتخاصم نفسها بالملامة وتعض على يديها . سَفً
وإنامة ، حتى رال نشاطها وحال . رتمكن منه ، مرض والبال . وفي كل يوم
ردد عيها إلى لام حتى اتقصع صوتها عن الكلام ، وشربت كأس الحمام فكفنها

أهلها وواروها التراب واكثر واعليها الانتحاب ومزقوا ما عليهم من الثياب .
 (قال الراوى) فبينما كان يطوف من مكان إلى مكان وهو كثير الهموم
 والأحزان إذ مر به فارسان فنعياها إليه وقالا قد حكم الله عليها بالموت
 وهو كائن ليس لاحد منه فوت ، لم يسلم منه ملك شديد ولا جبار عنيد ، فعز
 نفسك الآن وتب إلى العزيز الرحمن ، واستقبل الأحكام بالرضى واستسلم
 لموارد القضا وقابل عوارض المحن والضيق بما قاله كعب بن زهير :
 كل ابن أثنى وإن طالت سلامته يوماً على آله حـدباء محمول
 قال فلما سمع منهما ذلك الخطاب أظهر الالكتاب واستعظم المصاب ،
 وأخذته الرعدة والاضطراب وغلب عن الصواب وعلا زفيره وشبهته حتى
 رق له عدوه وصديقه وأنشد يقول :

أيانا عي ليلى بجانب هضبة أما كان يمعها إلى سواك يا ناعى ليلى بجانب هضبة
 لن بعد ليلى لأمرت قواك يا ناعى ليلى لقد هجمتنا تسارح فوح فى الديار كلاك
 نلا عشتما إلا حليفى مصيبة ولا متما حتى يطول بلاك وأسدت الأيام فيها عجائباً
 موتكما أنى أحب رداك أظنكم لا تعلمان مصيبتى لقد حل بين الوصل فيه أراكم
 ثم مضى حتى دخل الحى وهو فى غم شديد وحزن ما عليه من مزب بعد
 أن كان لا يمر به إلا من بعيد فأثنى أهل بيتهما فعزاهم وعزوه ، فقال دوفى على
 قبرها فدلوه ، فلما رآه عظم مصابه روى بنفسه عليه . والتمسه من شدة
 عشقه وجواه وضحه إلى صدره وقد حار فى أمره وأنشأ يقول :

أيأ قبر ليلى لو شهدتك أعولت عليك نساء من أصبح ومن سجد
 ويا قبر ليلى أكرس حملك يكن لك ما عشتما عليها به
 ويا قبر ليلى أن إلى عريته بأرضك لا خال لديها ولا سم
 ويا قبر ليلى ما تصمت قبورها سميها ليلى دأ عذاب ودأ كرم
 ويا قبر ليلى غابت أيامها وخاتمتها وأخادعهاون لها نية

قال : ثم إنه كان بأرى إلى قبر أبيه ودور نهاره وهو يرتها مأسه وحتى
 جف جنده على عظمه . وضعفت قوته واشدت بليته . ثم إن رجلاً
 من الأهل أحب لعمارة راى نظر إليه وإلى راحته فبصره ، قال انزل من حجر جرت

أطلبه في البراري بعد أن أرشدني أهله عليه وقد أفهموني بأن أنشدته بعض
شعر قيس بن ذريح وذلك ذريعة الدنو منه إلى أن لقينته قاعداً يلعب بالتراب ،
فسلمت عليه وجلست منه بمكان قريب ورد على السلام فقلت له يا صاحب
الوجه المليح والكلام الفصيح ما أحسن قول قيس بن ذريح حيث يقول :

وأنى لمن دمع عيني بالبكا حذاراً لما قد كان أو هو كأن
وما كنت أخشى أن تكون منيتي بكفى إلا أن ما حان حائن
وقالوا غداً أو بعد ذاك بلية فراق حبيب بان أو هو بان
قال : فبكى بكاء شديداً وسالت دموعه على خده وأنشأ يقول :

لصغراء في قلبي من الحب شحبة هوى لم ترمه الغايات صميم
به حل بيت الحب ثم انثني به فزالت بيوت الحى وهو مقيم
ومن يتبعض جبين فؤاده يمت ويعش ما عاش وهو سقيم
فخران صادان يذد عن به مشرب وعن بللات الماء وهو يحوم
بكت دارهم من نشدهم رتمت لك دموعى فأى الجازعين ألوهم
أهذا الذى يبكى من الهزن والبلأ أم آخر يبكى تتجوه ربهيم
إلى الله فقد الوالدین يتيم إلى الله فقد الوالدین عظيم
أفحق بنا أن نقبل دواء إذا ذكرت بين أن ينسرها
على دواء المسك إن كان حبيب دواء ثم من أن يكفك كحل حبيب
(فوقه) أن تورق تورق تينين بلبل فقل من الغيرة من تينين

كما جئت من ألى فقلت
لحلفت لك أنى من دموع
حيت تارح دموعه من دموع
ور دموعه من دموعه من دموع
فقلت دموعه من دموعه من دموع
أنى أيا من دموعه من دموعه من دموع

ومني حتى إذا ما رايتني على شرف للناظرين قريب
صددت وأشمت العداة بهجرنا أنابك فيما تصنعين مثيب
أبعد عنك النفس والنفس صبة بذكرك وألمشى إليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة مظنة وأكرمكم أن يستريب مررب
أما والذي يبلو السرائر كلها ويعلم ما تبدى به وتغيب
لقد كنت ممن تصطفى النفس خلة لها دون خلان الصفاء حبوب
وأني لأستحييك حتى كأنما على بظهر الغيب منك رقيب
تلجى حتى يذهب اليأس بالهوى وحتى تكاد النفس عنك تطيب
سأستعطف الأيام فيك لعلها يوم سرورى فى هواك تتوب
(وقال) ألا هل طلوع الشمس يهدى تحية إلى آل ليسلى أودنو غروبها
أقضب ليلى إن مروت بذى الغضى وما ذنب ليلى إن طوى الأرض ذيبها
أحل على الرجم إن قلت حبذا غروب ثنانيا أم عمرو وطيبها .
(وقال) فياليت ليلى وافقت كل حجة قضاء على ليلى وإلى رفيقها
فتجمعنا من نخلتين ثنية بعض بأعضاء المظى طريقها
فألأك عند الركن أوجانب الصفاء ويشغل عما أهل مكة سوقها
فأنشدها أن نحوى لهون والهوى وتمنح نفساً طال مطال حقوقها
وزاره الأعرابى ثانية بعد انصرافه إلى الحى وقد حدثهم بحديث قيس وما
أنشده من شعره فوجده على كتيب من الرمال وهو يخط بأصبعه فيه ، فدنا
وسلم عليه وقال : أحسن والله قيس بن ذريح حيث يقول :
لواكبدي وعاودنى رواعى وكان وراق لنى كالخداع تكفى الوشاة فآز عجونى
ليالله لئلا شى المطاع وأصبحت الغداة ألوم نفسى على شىء وأيسر به استطاع
كغبون بعض على يديه تدين غننه بعد البيع
إذا ما تذكر بن تحى نفسى حنين الألف يضرب لئلا يبع
قال المجنون : بلى والله واستعر حيناً ثم قال : أنا أشمر منه حيث أقول
ألا يا نسيم الريح حكك جائر على إذا أرضيتنى ورضيت
أيا نسيم الريح لو أن راحداً من الناس يلبيه الهوى لبليت

فلو خلط السم الزعاف بريقتها تمصصت منه نهلة ورويت
ثم قال إن لم أكن أشعر منه في هذا فأنا أشعر منه حيث أقول :
وعارصن بالعقيان مفلج به الظلم لم تقل لمن غروب
رضاب كريح المسك يجلو متونه من الضر أو فرخ البشام قضيب
ثم غشى عليه ، فلما أذاق قالت أحسن والله قيس بن ذريح سيث يتزل :
هبوني امرأ أن تحسنوا فهو ساكر لذلك وإن لم تحسنوا فهو صافح
فإن يك أقوام أشاروا بقتلها فإن الذي بيني وبينك فاضح
فقال أنا شعر منه حيث أقول :

وأدنيته حتى إذا ما فتنتني بفول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لالي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح
قال الأعرابي : فلما أتم هذه الأبيات ظهرت له ظبية فتعلق قلبه بها ووثب
مسرعا في طلبها ، والتفت ، إل وقال : السلام عليك غا أراك تراني بعد هذا
أبداً ، قال الهلالي : ثم رجعت إلى الحى وقد احتق قلبى بكى ، فأشدتهم ما
سمعتهم من شعره فكتبوه وأخبروه ما كان من أمره ، فلما كان من الغد
بكرت وطلبته وفتشت عليه فلم أفف له على أثر ، فأخذنى القلق والضجر
فانصرفت إلى الحى ، حيث أساء وأشدتهم بالخبر . فقام إخرته ومن يلز
من أهله وأقاربه فطلبناه يومنا وليلتنا فى القفار والسهول والأوعار ، فلما
أصبحنا هبطنا إلى واد كثير الحجارة والرمل ، وإذا نحن به ملقى ميتاً ، بين
حجرين وقد كان خط بأصبعه عند رأسه هذين البيتين :

توسد أحجار المهامه والفقر ومات جريح القلب مندمل الصدر
فيا ليت هذا الحب يعشق مرة فيعلم ما يلقي الحب من الهجر
فرثناه وعلت أصواتنا بالبكاء والنحيب وحملناه إلى الحى فبكى عليه
الغريب والقريب وكل صاحب وصديق ومن ستم باسمه يوماً ، وتأسف أبو ليلى
عليه وندم على عدم زواج بابلى غاية الندم وقال والله لقد قابلته بالاستخفاف
وغاملته بغير الحق والانصاف ، ثم تقدم لإييه وضمه إلى صدره وبكى عليه
وبعد ذلك غسلناه وكفناه ودفناه إلى جانب قبر ليلى ، رحمهما الله تعالى .
وكان ذلك فى السنة الثمانين من الهجرة المحمدية الموافقة سبعماية مسيحية . -

